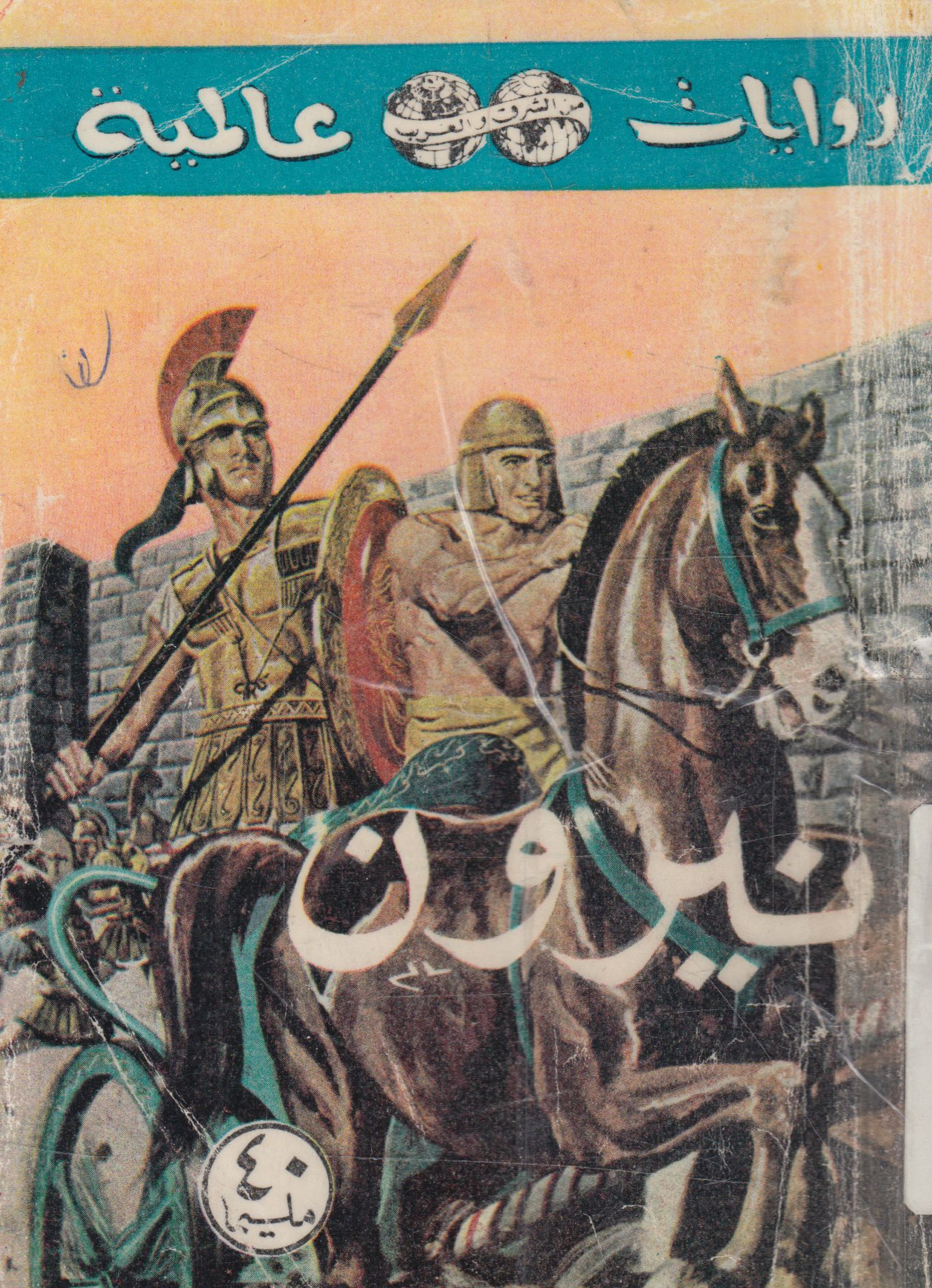


روايات عالمية
من الشرق والغرب
نيرون
٤٠ مليما

روايات عالمية



قصة الرجل الذى احرق روما

للكاتب الفرنسى الكبير

إسكندر دوماس

الفصل الاول

في اليوم السابع من العام السابع والخمسين قبل الميلاد ، لثمانمائة وعشر سنين خلت من تأسيس روما ، اجتازت الباب الغربي لمدينة (كورنثه) فتاة في حوالى الخامسة أو السادسة عشرة من عمرها ، فارعة العود ، ممشوقة القد ، جميلة : فانحسرت نحو شاطىء البحر ، حتى اذا بلغت في طريقها روضة تحد أحد جانبيها أشجارالزيتون ويحد الجانب الآخر منها جدول تنشر عليه أشجار البرتقال ظلالها ، توقفت تجمع بعض الازهار البرية ، ثم هرعت نحو الجدول فتهدلت خصلات شعرها على كتفيها ، وركعت عند ضفته تستقي ، فحانت منها التفاتة الىصورتها وقد انعكست على صفحة الماء ، فابتسمت راضية عن جمالها .. كانت في الواقع من أجمل غادات اليونان ، تتجلى آيات السحرفيعينيها الدعجاوين المفعمتين بالفتنة ، وفي أنفها اليوناني ، وشفتيها العقيقتين ، وجسدها البض الملتف ، وقدميها الصغيرتين اللتين يخال الرائي أنهما لن تقويا على حمل جسمها .

واستغرقت الفتاة في تأمل خيالها بضع لحظات .. ثم عمدت الى شعرها ففرقته ثلاث خصلات ، وعقصته ثم شبكته بأزهار البرتقال والغار ، وانكفأت ترتوى من الجدول فالتقت شفتاها بشفتي صورتها المنعكسة على صفحته ، فارتجف الماء كأنما أخذته النشوة .

وعندما اعتدلت واستوت على قدميها .. وقفت برهة جامدة يعتمل الفضول في نفسها .. اذ لمحت مركبا كبيرا يتسلل الى الخليج .. وقد وشيت مقدمته بأسلاك الذهب

•• وراحت نسـمات البحر تداعب قلوعه الارجوانية •• وانطلقت المجاذيف من جانبيه تصافح الماء •• ومع أن المركب كان لا يزال على ربع ميل من البر •• الا أن أصوات ملاحية سرت الى مسمعي الفتاة •• تردد احدى أنشودات (نبتون) ـ اله البحر ـ فى رقة وعذوبة ناعمة •• لا قبـل لاصوات البحارة الخشنة بها • وهفت الانغـام بمشاعر الكورنثية الحسناء •• فاقتطعت بعض فروع البرتقـال والزيتون ثم تقدمت في خطوات بطيئة من الشاطىء •• يحدوها الفضول •• بينما كانت أصابعها تضفر فروع الزهور • فلما بلغت الشـاطىء •• كان المركب قد ازداد منه اقترابا •• حتى استطاعت الفتاة أن تتبين وجوه الموسـيقيين وأن تميز بين الاصوات المختلفة التى كانت تردد (لازمة) الانشودة •• صوت المغنى الذى كان يترنم بمقاطعها •• والذى كان يقف عند مقدمة المركب •• حاملا قيثـارة ذات أوتار ثلاثة وكان من الجلى أنه صاحب المركب وسيدها •• اذ رقد عند قدميه عبد لا يفضح ثوبه الاسيوى الطويل حقيقة جنسه فلم تدر أرجلا كان أم امرأة •• وأفلت المجذفون مجاذيفهم من أيديهم ووقفوا يصفقون في فترات منتظمة •• حامدين (نبتون) أن آتاهم ريحا طيبة •• ساقتهم الى بر الامان •

وأثار المنظر أقـصى آيات الدهش والعجب فى نفس الفتاة •• اذ لم تكن كورنثه فى تلك الايام موئل المجـد والابهة كما كانت فى عهد (سيلا) حين اعتبرت مزاحمـة اثينا ومنافستها •• فقد اجتاحها الرومانيون سنة ١٤٦ قبل الميلاد •• فأعملوا السيوف فى رقاب أهلها ، وباعوانساءها وأطفالها في أسواق الرقيق •• وأحرقوا بيوتها •• وهدموا أسوارها •• وحملوا تماثيلها الى روما •• كما فرشوا أبدع

رسومها ولوحاتها .. أبسطة يسير عليها الجنود .. ومع أن يوليوس قيصر أعاد تشييدها بعد ثمانين عاما .. وبعثها من مواتها كمستعمرة رومانية .. الا أنها كانت لا تزال بعيدة عن أن تستعيد ما كانت تستمتع به في غابرها من نعيم ورواء .. ومن ثم رأى القنصل الروماني العام ــ وكان بمثابة الحاكم ــ أن يعقد فيها مباريات عامة في المصارعة .. وسباق العربات .. والغناء في اليوم العاشر من مايو ــ من ذلك العام ــ والايام التي تليه .. عسى أن يعيد بهذه المحاولة اليها مجدها القديم .. وفعلا أقبلت على المدينة منذ بدأ الشهر .. وفود من الاغراب والاجانب المتبايني الاجناس .. يحدوهم الفضول .. أو يتنازعهم الطمع في الفوز بتيجان البطولة في هذه المباريات .. ووصل بعضهم في عربات مطهمة .. بينما قدم بعض آخر على صهوات الجياد .. ومنهم من أقبلوا في سفن استأجروها .. أو اصطنعوها لهذه المناسبة .. ولكن موكبا من هذه المواكب لم يبلغ في روعته وأبهته ما بلغته تلك السفينة التي وقفت الفتاة ترقبها وهي تمس البر ..

وأسرع الملاحون يمدون من مقدمة المركب سلما مطعما بالنحاس والفضة ، فرفع المغني قيثارته فوق كتفه ، ثم هبط الى البر متكئا على كتف العبد الذي كان يقبع عند قدميه وتبينت الفتاة ان السيد شاب وسيم في حوالى الثامنة والعشرين من عمره أصفر الشعر ، أزرق العينين ، ذو لحية في لون الذهب الخالص ، وقد ارتدى سروالا ارجوانيا ، وصديريا أزرق موشى بخيوط الذهب والقصب ، ووشاحا أحاط بعنقه وتدلى طرفاه حتى منطقته .. أما العبد فكان يصغر سيده بعشر سنين ... فتى يافعا ، تزخر عيناه

بفيض من الحزن المكتوم والاسى الدفين : وتكاد قسماته أن تشبه قسمات فتاة غضة الاهاب ، كما تبدت بشرته غضة تزرى ببشرة أجمل غوانى أثينا وأكثرهن غضارة وطراوة ·· وكان يكتسى برداء أبيض فضفاض ، طرز صدره بوشى من الذهب وامتد طرفه الى حذاء الركبتين ·· وتهدل شعر الفتى على كتفين انحسر الثوب عنهما فتركهما عاريتين ، وتدلت من عنقه مرآة علقت فى سلسلةذهبية ، ورصع اطارها بالجواهر والاحجار الكريمة واذا أوشك العبد ان يطأ البر ، اجتذبه سيده فى عنف فأجفل ، ثم تساءل فى صوت رقيق وجل : ماذا حدث يا مولاى ؟

ـ كدت تطأ البر بقدمك اليسرى ، فتضيع على كل ما أنفقت من جهود ، وأملت من ثمار ··

فعاد العبد يقدم قدمه اليمنى على اليسرى ، بينما وجدت الفتاة نفسها تخاطب السيد قائلة فى لغة اليونان :

ـ آن أرض الاغريق أيها الغريب لكريمة حفية بمن يطؤها وفى صدره نوايا طيبة ، سواء مس أرضها بيمنى قدميه أم يسرهما ·· فهى أرض الحب ، والشعر · والصراع ·· ومهما تكن أيها الغريب ، فاننى أقدم لك هذا الاكليل · فتقبله ريثما تفوز بذاك الذى جئت تنشده ··

فتناوله الشاب فى عجلة ، ووضعه فوق مفرقيه وهتف ان الآلهة لتبسم لنا راضية يا سبورس · فهاهى ذى زهور البرتقال التى أتاحت النصر لهيبوميناس على اتلالنا وهذه زهور الزيتون · شجرة أبولو الحبيبة ·· ما اسمك يارسولة الحظ الحسن ؟

فأجابت الفتاة فى استحياء : آكتيه ··

فصاح الرجل مرة أخرى : هل سمعت يا سبورس ؟ ·

آكتيه . أى الشاطىء .. لكأنما كانت كورنثه فى استقبالى لتتوجنى بأكليل النصر والرفعة ..

فقال الفتى : واى عجب فى ذلك !.. أو لم تعدك الالهة للنصر والرفعة يالوشيس ؟

وعلمت الفتاة أن ليس للغريب فى المدينة من أهل ولا أصدقاء أو معارف . فدعته كى ينزل ضيفا على دار أبيها فهتف السيد الشاب :

ـ ما كذبتنى عيناى حين أدركت ان خلف هذا الجمال آلهة لا تقل مكانة عن هيلين .. لكان فينوس قد أضفت عليك سحر جمالها الخالد . فكتب لى أنا الآخر الخلود اذ رأيتك

وتضرجت وجنتا الفتاة خجلا ، بينما التفت الشاب الى خادمه يسأله فى لهجة لاتينية :

ـ ما رأيك يا سبورس ؟

ـ ان الهة الحظ تحبوك بما يستل من قلبك كل شك فى ولائها لك ..

ـ اذن فلنثق بها هذه المرة .. فما تقدمت الينا من قبل ممثلة فى هذا الجمال الباهر الفتان .. ألا قودينا أيتها الحسناء . فنحن على استعداد لان نتبعك . ومر ليبيكس يا سبورس أن يراعى فوبيه ويرقبها بعين يقظة ..

فهرع العبد عائدا الى السفينة يبلغ أمر سيده . ثم لحق بهما وهما ينحدران فى الطريق الى المدينة .. وكانت آكتيه تسائل لوشيس وهى تشير الى الاماكن التى ستقام فيها المباريات ..

ـ وفى أى تيجان البطولة يطمع لوشيس ؟

ـ فى ثلاثتها ياآكتيه ..

ـ انك مسرف فى الطموح يا سيدى

ـ ولكن الآلهة تستبشر بالرقم (ثلاثة) وترضى عن كل ماهو ثلاثى ..

واذ أشرفوا على المدينة ، لمح لوشيس نافورة ماء قديمة تجلى فيها جمال الفن الاغريقى . فسأل دليلته ومضيفته عنها فقالت آكتيه :

ـ انها نافورة بيرنيه ، فقد قتلت ديانا ، ابنة بيرنيه فى هذه البقعة ، ولما رأت حزن أمها عليها وانكبابها فوق جثتها ، سخطتها حجرا فى شكل نافورة تسكب الماء فوق الجثمان الذى نحت ليسيبس ـ تلميذ فيدياس ـ تمثاله .

فهتف السيد الشاب : تأمل روعة الفن يا سبورس .. انظر كيف بذل المثال كل مواهبه ليصور مشاعر الالم واختلاجاته .. سآمر بهذا التمثال أن ينقل الى روما أو نابولى ، فانى أحب أن يقام فى احدى قاعات قصورى أو أفنيتها .

فقالت آكتيه : انه تحفة قديمة تعتز بها المدينة اعتزاز الام التى فقدت أجمل صغارها ، فغدت تحرص على من بقى منهم ، فهل تراك من الغنى يالوشيس بحيث تملك ما يكفى لابتياع هذه التحفة الغالية ؟ .

فنظر اليها الشاب وكأنما مسته كلماتها ، وصاح : ابتياع !؟ . ولم ابتاع شيئا أستطيع أن انتزعه انتزاعا ؟ لو اننى اشتهيت هذا التمثال لنلته ولو اجتمعت كورنثه عن بكرة أبيها على الحيلولة دون ذلك .. اللهم الا اذا رغبت آكتيه الفاتنة فى استبقاء التمثال لبلدها .

فتضرج وجه الفتاة خجلا وقالت : لست أدرى مدى لفوذك وقوتك يالوشيس ، ولكننى أشكرك على أية حال .. فدع لبلادنا آثارها أيها الرومانى ، ولا تفعل ما فعله آباؤك

من قبل ٠٠ لقد جاءوا غزاة فاتحين ، وجئت أنت ضيفا صديقا

ـ على رسلك يا حسناء ، فقد بدأت أرى في كورنثة من التحف التى تشتهى ، ما يفوق هذا التمثال الرخامى ٠٠ وماجاء « باريس » ليسلب « لاسيديمون » تمثال منيرفا أوديانا ، بل جاء فاختطف « هيلين » الطروادية الحسناء ٠

فغضت الفتاة بصرها فى ارتباك وقد أدركت مارمى اليه ٠٠ وتابع الثلاثة سيرهم ، فدخلوا المدينة التى كانت تعج بالوفود التى اجتذبتها المبارزيات لا من كافة انحاء بلاد اليونان فحسب ، بل ومن كل ارجاء العالم ٠٠ الذى كان يخضع اذ ذاك للامبراطورية الرومانية ٠

وبلغوا الدار آخيرا ، فاذا رجل عجوز يقف عند عتبتها، تقدمت منه الفتاة قائلة :

ـ لقد أرسل الينا جوبيتر ضيفا يا أبت ، قابلته عند شاطئنا ، فدعوته الى بيتنا ٠

فبسط العجوز يده للوشيس ، وهو يدفع الباب يفتحه باليد الاخرى وقال :

ـ مرحبا بك أيها الشاب ذو اللحية الذهبية ! ٠

الفصل الثانى

فى اليوم التالى جلست « آكتيه » بين أبيها « أميكل » وضيفهما « لوشيس » حول مائدة حوت أشهى الاطعمة وأطيبها ٠٠ وجريا على عادة الاغريق ، دعا أميكل بالنرد أن يحمل اليهم كى يحكموه فيمن يرأس المائدة ، فلما القاه أميكل ، كشف عن الوجه الذى رسم عليه « هرقل » ولما ألقته آكتيه ، كان من حظها الوجه الذى رسمت عليه « العربة » ٠٠ أما الشاب الرومانى ، فقد تردد برهة فى قلق وانفعال ، ثم القاه ،

فاذا الوجه الاعلى هو وجه « فينوس » واذا هو الفائز فصاح في عبده باللغة اللاتينية .

ـ هل رأيت يا سبورس ، كيف تنحـــاز الآلهة الى صفنا ؟ وهل هناك خير من هرقل والعربة وفينوس . لتكون فالا لشخص وفد ليفوز ببطولة « المصـــارعة » و « سباق العربات » و « الغناء » ؟ . أليس هـــذا وعدا صريحا من جوبيتر ؟ ..

فتنهد اليوناني العجوز وقال للشاب بذات اللغـــة : واحسرتاه على زمن كان في وسع بلاد الاغريق فيه أن تنجب اندادا ينافسونك عن جدارة ! .. ولكن الظاهر أن اليونان فقدت مع حريتها كل فنونها وقوتها ، وجرؤت روما على أن ترسل لنا صبيانها لينتزعوا البطولة منا فليحمك جوبيتر أيها الشاب ، فمع انني أتمنى أن يفوز بالبطولة مواطن من بلدى ، الا انني لا أضن بالامنية ذاتها على ضيـــف في بيتي .. فاذهبي يا ابنتي واحضرى لنا من الزهور ما نصنع منه أكاليل نستعيض بها عن التيجان التي يسعى اليها ضيفنا ريثما يفوز بها .

وأسرعت أكتيه فأحضرت أكاليـــل توج أكبرها رأس لوشيس .. ونثرت الزهور في أرجاء المكان ، ثم توسـط الضيف المائدة وحوله الاب وابنته . وعند قدميه عبده .

وقدمت صحاف الطعام ، فأقبلوا عليها ، واميكل يتأمل في عطف ضيفه ، بين اللحظة والاخرى ومالبث أن سأله :

ـ هل أتيت من روما مباشرة ؟

فأجاب الروماني الشاب :

ـ لقد استقللت مركبي من ميناء أوستيا .

ـ وهل ما زالت الالهة تحمي الامبراطور المقدس وأمه ؟

ـ أجل ·

ـ وهل كان القيصر يعد العدة لحملة عسكرية جديدة ؟

ـ لم تعد هناك قبائل متمردة ، فقد وهب القيصر ـ سيد العالم ـ كل البلاد السلم والطمأنينة كي ينصرف اهنها الى الفنون ·· وحمل قيثارته ينشد اهازيج المديح للالهة ·

ـ أولا يخشى أن يسعى غيره لانتزاع الحكم منه وهو منهمك فى الغناء ؟

فقطب لوشيس حاجبيه وقال : اذن ففى اليونان أيضا يخالون القيصر طفلا ؟

ـ لا ، ولكنهم يخشون أن يتلكأ فى الوصول الى طور الرجولة ·

ـ ظننته قد بلغ الرشد حين مات بريتانيكس ؟

ـ لقد لقى بريتانيكس حتفه منذ أمد طويل على يدى اجريبينا ·

ـ بل ان القيصر هو الذى قتله ، ولك ان تصدق قولى ·· اليس كذلك ياسبورس ؟

فصاحت اكتيه : أو قتل أخاه ؟

ـ بل قتل الابن الذى شاءت الام أن تقدمه عليه وتحبوه دونه ·· سلى أباك أيتها الحسناء فهو يبدو لعينى عليما ، ولا شك أنه يعرف أن ميسالينا ـ زوجة كلوديس ـ أرسلت جنديا ليقتل نيرون وهو فى المهـــــد صبيا ، فاذا بثعبانين يفاجئانه من فراش الصغير فيضطرانه الى الفـرار ·· ليس نيرون بالاحمق ككلوديس ، ولا بالمعتـــوه ككاليجولا ، ولا بالجبان كتيبريوس ، أو المتظاهر الذى يمثل دورا مصطنعا مثل أوغسطس ··

وتطلع أميكل وأكتيه الى ضيفهما مشدوهين ، فقد كان

انتقادا لاباطرة اذ ذاك أو سبهم ، نوعا من التجديف ، اذ كانوا يعدون فى مصاف الآلهة ·· وسادت الجميع لحظات صامتة واجمة ، مالبث أن قطعها مقدم عبد يعلن نبا وصول رسول من الحاكم يحمل رسالة الى الضيف ·· فقد رأى الحاكم المركب فى مرساه ، فتحرى عن صاحبه وعلم انه فى ضيافة أميكل ، فبعث يدعوه لينهب الى دار الحكم فى الصباح التالى فيسجل اسمه ، ويعين المباراة التى يبغى الاشتراك فيها

وأنصت لوشيوس للرسالة يتلوها الرسول ، وهو مضطجع فى مجلسه ، بينما كان أميكل وابنته واقفين احتراما لكلمات الحاكم ، ثم تناول من صدره صفائح رقيقة من العاج المكسو بالشمع ، وقلما من نفس المادة ، ذا سن مدببة ، فخط بضعة أسطر ، ذيلها بخاتمه ، ثم أسلمها للرسول ليحملها الى الحاكم ·· وتردد الرسول مدهوشا ، ولكنه أشار اليه فى غضب فانحنى وانصرف ·· واذ ذاك قال أميكل :

ــ اننى أكاد أشك أيها الشاب فى انك رومانى ، فلو انك عشت فى المدينة الامبراطورية ، لكنت قد تعلمت كيف تظهر الاحترام لاوامر ممثل القيصر ، فان الحاكم هو صاحب السلطة المطلقة وله من الطاعة هنا مالنيرون فى روما ·

ــ أونسيت أن الآلهة اختارتنى فى بدء هذه المأدبة لمنصب يعادل منصب الامبراطور اذ جعلتنى ملك المائدة ؟ · وهل من شيم الملوك أن يغادروا عروشهم اطاعة لاوامر الحكام ·· لقد كتبت الى لينتولس ــ الحاكم ــ أخبره ان فى وسعه أن يحضر فيسألنى ، اذا شاء أن يعرف اسمى ، ومقصدى وانى لواثق من أنه سيحضر بنفسه ، وسترى ·· أنصت !

وفعلا لم يلبث الباب أن ردد صدى طرقات · فنهض

أميكل وابنته بنفسيهما ليفتحا للطارق ‥ وفوجئا بالحاكم يدخل وقد تفصد العرق من جبينه ناما عما كان لرسالة الضيف من أثر عليه ، فلما أقتيد الى حيث يجلس لوشيس سأل هذا مضيفيه ان يدعاه مع الحاكم وحيدين ، فاغلق الباب دونهما ووقف آتباع الحاكم يحرسونه ‥ ولم يدر أحد ما دار فى تلك المقابلة التي دامت ربع ساعة انصرف بعده الحاكم ، بينما خف لوشيس الى حيث كان أميكل وابنته يتمشيان في الحديقة ، فبادر الاول قائلا :

ـ ما آجمله من مساء يا أبت ، فهلا رافقت ضيفك حتى القلعة التي قيل لى أنها تشرف على منظر رائع ٠ وهلا أتحت له أن يرى تمثال فينوس الذى أمر القيصر برده من روما الى معبد الآلهة ليرعى الرومانيين المشتركين فى المباريات ؟

فقال أميكل : كم يؤسفنى يابنى أن أصبحت سنى تعوقنى عن أن أرشدك فى تسلق الجبل ، ولكن آكتيه تستطيع أن ترافقك ، فهى فى خفة الرشأ ‥

ـ شكرا ياأبتاه ، وما كنت لاجرؤ ان أسألك هذا خشية أن تغار فينوس من جمال ابنتك فتصب على انتقامها

وتضرجت وجنتا آكتيه خجلا ، ثم أسرعت الى الدار فغابت لحظة ، لتعود وقد أرخت على وجهها نقابا ‥ فرافقت لوشيس وانطلقا فاجتازا باب المدينة الشمالى ، واتخذا الطريق الصاعدة عبر سفح الجبل الى القلعة ، فبلغاها بعد ساعة ، ونفذا الى معبد فينوس ، فاذا تمثال الآلهة واقف فى أبهى زينته والى يمينه تمثال الحب ، والى يساره تمثال الشمس ‥ فركع لوشيس أمام تمثال معبودته يصلى ، حتى اذا فرغ عاد يرافق آكتيه ، فدلفا الى الغابة المقدسة القائمة خلف المعبد والمضحية الى قمة القلعة ‥

وكانت آكتيه قد خلعت نقابها منـذ خلفت المدينة ، فراح لوشيس يتملى من حسنها الرائع بين كل خطوة وأخرى ، حتى اذا انتهيا الى القمة ، استندت الفتاة الى جدع شجرة • بينما لف الرومانى ذراعه على أحد الاغصـان يعتمد عليه ، وبدلا من أن يتأمل منظر كورنثه وهى تستلقى عنـد قدمى الجبل ، راح يلتهم آكتيه بعينين برح بهما الجوع الى الحب ، حتى طغى على الفتاة الخجل والحيـاء ، وراحت تنشد فى الكلام ـ على غير هدى ـ ستارا يخفى ارتباكها ••

فمضت تقول : سرح بصرك نحـو الشرق تر خليج سارونه •• وما هذه الارض التى صاغتها الآلهة فى شكل حدوة الفرس ، سوى جزيرة سلاميس حيث حارب اخيلس•• وحيث هزم اكزرسيس •• ثم ول ظهرك شطر كورنثه •• وارسل البصر نحو الشمال•• تر الى يمينك جبل سيتيرون•• والى يسارك ليوكترا حيث هزم أبامننداس الاسبرطيين وفى مواجهتك تماما •• تجـد جبل بارناسس ذا القمتين اللتين تنبع من بينهما عين كاستاليا التى توحى بالشعر لـكل من ينهل من فيض مائها •

فقال لوشيس : لاريب فى أن بلادكم بلاد الذكريات العظيمة •• وليس أبعث للاسى من أن كل أبنائها لا ينظرون الى هذه الذكريات نظرتهم الى أساطير مقدسة •• كما تفعلين•• ولكن رفهى عن نفسك ، فاذا عز على اليونان اليوم ان تكون ملكة القوة كعهدها فيما مضى ، فانها دائما ملكة الجمال •• وانه لأحب سلطان الى القلوب ••

فمدت آكتيه يدها الى القناع تحـاول أن تغطى به وجهها ، ولكنه أسرع فامسك باليد •• واجفلت الفتاة ولكنها لم تجد من نفسهـا جرأة على اجتذاب يدها من قبضته ••

وغامت على عينيها غشاوة واحست بركبتيهـــا ترتجفان ..
فمالت تستند الى الشجرة ..

وكان الوقت اذ ذاك آبدع ساعات النهار واحلاها ..
التى تقف فيصلا بين الليل والنهار .. فلا هى من هذا ..
ولا هى من ذاك .

وكان الشفق يصبغ الافق .. ويعكس أرجوانيته على مياه بحر يونيان .. ويرسل السنته تفصل بين السحائب النهبية .. وسكنت الطبيعة فلم يعد يعتكر الصمت الا بعض صيحات يبعثها الرعاة وهم يسوقون أغنامهم فى السفوح .

وبدأت حشرات الليل اللامعة تطمئن الى احتضار النهار فنشطت تسعى بين الحشائش .. وكانما أرهق النهار الطبيعة وأنهك قواها .. فتولاها الخور والكلل .. وأخذت تستسلم وسنانة الى هجعة مريحة ناعمة .. بين أحضان الصمت الشامل الذى هفا باعصاب الشابين ومشاعرهما .

وفجأة ، انبعثت صرخة غريبة من ناحية المرسى الذى استقر فيه مركب لوشيس ، فارتعدت آكتيه ، بينما التفت الشاب الرومانى فى عجلة صوب الشاطىء .. واعتدلت الفتاة فى خوف غريزى وهمت أن تتخذ طريقهـــا صوب المدينة ، ولكن لوشيس أوقفها ، فانصاعت فى صمت .. وكانمـــا احست أنها ازاء قوة طغت على كل قواها .. فعادت تستند الى جذع الشجرة ، أو بالاحرى ، الى ذراع لوشيس ؟ التى تلقتها وأحاطت بخصرها ؛ وطوحت الفتاة رأسها الى الخلف ، وراحت تحدق فى السماء ، وقد أطبقت اجفانها وشفتيهـــا نصف اطباق ، ومع أنها أحست أن عينى الشاب الرومانى تكادان تلتهمان حسنها الساحر ، الا انها لم تقو على تحاشيهما بل انتابتها غيبوبة أو نشـــوة ناعمة ، لم تفق منها الا حين

انبعثت صرخة ثانية ، تمزق السكون ، فصاحت فى جزع :
ــ هيا نفر يالوشيس ، فلا ريب أن هذه الصرخة لحيوان كاسر يسعى فى الجبل .

فابتسم قائلا : أو تخشى آكتيه ضرا وهى بجوارى ؟.. اننى لاشعر أن فى وسعى أن أقاوم أكثر الكواسر وحشية من أجلها .. ومع ذلك .. فما هذه الصرخة الا لنمر .

فألقت بنفسها بين ذراعى الرومانى ، تلوذ به محتمية مما تخشى من ضر .

وانبعثت صيحة ثالثة .. دلت على اقتراب النمر .. فرد عليها لوشيس بصيحة تكاد تشبهها كل الشبه .. فاذا بنمر يثب من الغابة المقدسة .. ويستوى على مؤخرتيه متحفزا للوثوب .. فارسل لوشيس من بين شفتيه صفيرا حادا .. فقفز النمر نحوه .. وفى نفس اللحظة .. أحس الرومانى بجسد الفتاة يهوى على ذراعه ، وقد فقدت وعيها لفرط الذعر .

فلما أفاقت آكتيه ، وجدت نفسها على صدر لوشيس ، بينما كان النمر مستلقيا عند أقدامها وقد راح يمسح رأسه فى ركبة الشاب فى شغف .. وعاود الفزع آكتيه فتشبثت بصدر لوشيس ثم لاحظت أن الحزام الذى يحيط بخصرها رمزا الى أنها لا تزال عذراء . قد فك وألقى على قدم منها .. فتولاها شعور من الحيـــاء والخزى ومدت يدها تستعيده . ولكن لوشيس كان أسرع منها ففك منطقة ذهبية كانت تحيط بعنق النمر تتدلى منها سلسلة محطمة .. فأحاط بهـا خصر الفتاة النحيل ثم تناول حزام الفتاة فربطه الى شريط حريرى كان يحيط عنق النمر تحت المنطقة الذهبية .. ووضع الطرف الآخر للحزام بين أصابع الفتاة المرتجفة .

وانطلق ثلاثتهم نحو المدينة •• فلما بلغوا مدخلها التقوا بعبد نوبى •• ما ان رأى لوشيس حتى خر ساجدا عند قدميه •• وراح في ذلة يعتذر بأن (فوبيه) انتهزت غفلة منه فحطمت قيودها وفرت من المركب تبحث عنه •• وكان لوشيس فى غمرة السعادة •• فلم يفكر فى عقاب •• بل صاح فى العبد :

ـ قم ياليبكس فقد عفوت عنك هذه المرة••وان كادت هذه الغانية أن تموت فزعا حين رأت (فوبيه) مقبلة •• اسلمى ياحسنائى النمرة الى حارسها •• سأربط أثنين من نوعها الى عربة تحملك يوما ما بين قوم سيتطلعون اليك كآلهة معبودة ! •

وعصت النمرة ـ المروضة المستأنسة ـ حارسها •• ولكن لوشيس راح يربت على رأسها وكتفيها فى حنان •• ويناجيها بكلمات عذبة •• فما لبثت أن انصاعت وتبعت ليبكس •• الى المركب •

واذ بلغ الشابان دار اميكل •• أوى لوشيس الى مخدعه بعد أن ضغط يد آكتيه معبرا عن عواطفه •• بينما يممت الفتاة شطر حجرة أبيها تحييه قبل أن تلجأ الى فراشها••فما رأى العجوز شحوبها وما ارتسم على وجهها •• حتى سألها عما بها •• فقصت عليه قصة النمرة وما كان من أمر لوشيس معها •• فتمتم العجوز فى عجب وقلق :

ـ أى رجل هذا الذى يتسلى بالنمور••ويصدر أوامره للحكام •• ويجدف فى حق القياصرة المؤلهين !

ولم تكد آكتيه تجسر أن تمس شعره الاشيب بشفتيها كعادتها كل مساء •• وانسحبت الى مخدعها •• وهى لاتكاد تصدق أن كل ما مر بها كان حقيقة لا حلما •• وقبل أن

أن تخلع ثيابها • مست المنطقة الذهبيه بأصابعهـا •• ثم قربت منها المصباح •• فقرأت ما تمشى مع ما كان يجول فى خاطرها « أنا ملك للوشيس ! »

الفصل الثالث

قضت كورنثه الليلة الســابقة لبدء المباريات •• فى احتفالات صاخبة••وفى صلوات فى معابد الآلهة •• وكأنما هى فى عيد من الاعياد القومية الكبرى •• فلما كان الصباح ازدحمت ساحةالمصارعة بجموع زاخرة •• أعاد مرآها ذكرى الايام الرضية الرخية التى شهدتهــا كورنثة فى أوج وعز الاغريق ••

وكان أميكل أحد القضاة الثمانية الذين آنتخبوا للحكم فى المباريات •• ولذا كان مجلسه مقابلا لمقصورة الحــاكم الرومانى •• وبدا الملعب كخلية النحل الهائجة •• ومع ذلك فقد كان خلوا منأية امرأة ـ مما حال بين آكتيه والحضور ـ اذ كان الصراع يدور فى حرية تتيح للمصارعين أن يتعروا من كل لباس الامر الذى لا يليق فى حضرة النساء •

وكان المتقدمون للكفاح فى سبيل البطولة ثمانية من أقوى الشباب جسوما •• وامتنهم بنيانا بينهم اثنــان من كورنثه ، وواحد من طيبة ، وآخر من سيراكيوز ، وخامس من سيباريس ، وروما نيان ، ثم لوشيس •• وتبعا للتقاليد تقدم كل منهم بدوره يقصالمغامرات التى ترشحه لان يصارع من أجل البطولة ، ثم أجرى بينهم الاقتراع ، لانتخــاب من يبدأ المباراة منهم •• ولتعيين دور كل واحد •• فكان من حظ لوشيس أن يكون آخرهم • أى أن يصارع الصفوة التى تتبقى من بينهم بعد النزال •

ودار الصراع عنيفا .. استعرض الحضور خلاله أروع فنون الرياضة وابدع حركات النزال .. فانتهى أخيرا بعوز الطيبى واحد الرومانيين . وحان دور لوشيس كى يصارع الفائزين.. تطلعت اليه الانظار ، وفيها شيء من الادراء وتوقع الفشل له . اذ بدا جسده تحت العباءة التى كان يتدثر بها رخصا طريا لينا ، فيه أنوثة ونعومة .. وسرت تمتمه بين الحضور .. لم يخف أمرها على لوشيس ، وان لم تنل من هدوئه واعتداده . فتقدم الى الساحه فى خيلاء ، وطرح عنه عباءته فكشف عن عضلاته القوية المفتوله رغم نحول جسمه ، وبضاضه بشرته . ولحق به سبورس فصب على لتفيه قنينة من الزيت المعطر راح يدلك بها جسده ، ثم نثر عليه كيسا مليئا برمل يخالطه تبر .

وكان الطيبى خصمه الاول ، فاقترب من الشـــاب الرومانى البادى الليـــونة . وتأمله فى استخفاف ، ثم رد بصره الى جسده العمـلاق الضخم يتامله فى اعتداد ، وهو يقارن بين قوته وقوة غريمه ، ولكن يديه لم تكادا تمســان كتفى الرمانى ، حتى ندت من عينى هـــذا نظرة رهيبة ، وانبعث من حلقه زئير مروع .. ثم هبــط الى الارض مرتكزا على ركبتيه واطبق بيديه على خاصرتى الطيبى .. ومدهما حتى التقيا خلف ظهره فعقدهما وضغط بصدره بطن الرجل وما لبث أن رفع الجسد الضخم بين ذراعيه فى سرعة ومهارة لم تدعا للطيبى فرصة للمقاومة .. فراح يضرب الهواء بيديه فى غير ما جدوى .. بل كان كلما زاد من جهوده .. أحس بذراعى لوشيس تزدادان ضغطا حوله حتى تصبب العرق من كل جزء من جسمه وتراخت ذراعاه ورأسه .. وانبثق الدم من فمه وأنفه وان هى الا فترة بسيطة حتى القاه لوشيس

عند قدميه .. فاقد الرشد .

ولم يصفق أحد ، لا ولم تنبعث أى صيحة أو هتاف ؛ بل ظل النظارة صامتين جامدين لفرط ما ألم بهم من ذهول لروعة مارأوا .. وأسرع العبيد يحملون الطيبى الصريع .. وتأهب لوشيس لنزال الغريم الثانى ، ولكنه فوجىء بهـذا يتقدم منه ، فيركع أمامه رافعا ذراعه اعترافا بقوة لوشيس ، وتنحيا منه عن منازلته ..

وفى عظمة وعزة . تقـدم لوشيس من مقصورة الحاكم فتسلم تاج البطولة . واذ ذاك أسرع ملاحو مركبه فحملوه على أعناقهم . بينما ند اليونانيون عنهم ماداخلهم من استياء لفوز الرومانى دون الاغريقى بالبطولة . فحيوه فى اعجاب وتحمس . حتى آذا بلغ أبواب المدينة ودخلها وسط موكبه ، تلقته النسوة والفتيات باكاليل الغـار ، وباقات الزهور والورود .. ولكن كل هذه الحفاوة والتمجيد ، لم يبقيـا فى نفسه أثرا حين بلغ دار أميكل . فلم يجد فاتنته تستقبله بالاكليل الذى كان يطمع فيه . فاندفع داخلا . فاذا بها فى الحديقة الخلفية .. راكعة أمام تمثال ديانا . وقـد جمدت أطرافها وشحب وجهها .. فتسلل خلفها . ثم وضـع على رأسها التاج الـذى فاز به . فالتفتت مسرعة لترى عينيه عالقتين بها . وقد فاضتا بنظرات الزهو . تعلنان اليهـا فوزه بأولى البطولات التى جاء يسعى لكسبها ..

وخرج أهل كورنثة ـ عن بكرة أبيهم ـ يسـعون فى اليوم التالى الى حلبة سباق العربات وعلى رأسهم الحـاكم الرومانى يقود عربة مطهمة . تحف بها فصيلة من الفرسان والاتباع . على جياد مسرجة بالذهب .

وخلف هذا الركب ، أقبل موكب المتبـارين يتقدمهم

لوشيس – تكريما له لفوزه في اليوم السابق – وقد اتشح بعباءة خضراء . وارتقى عربة من الصاج والذهب . تجرها أربعة جياد بيضاء قبضت يد الروماني الشاب على أعنتها القرمزية .. أما رأسه فقد علاها التاج الذى فاز به فى مباراة الصراع . وأما لحيته الحمراء فقد نثر خلال شعيراتها تبرا راحت ذراته تومض متألقة كلما انعكست عليها اضواء الصباح ..

وكان منافسوه أربعة .. شابين من أبناء « أثينا » . والثالث من أهل سوريا . والرابع اغريقى من (تساليا) ..

ومن خلفه هؤلاء سارت مواكب متعددة . متباينة . تنتهى عند باب المدينة ..

ووصلت المواكب الى حلبة السباق حوالى الظهر .. واقترع بين المتسابقين . حتى لا يشكو أحدهم من غبن لحق به . فقد كان الميدان مستديرا . تتوسطه دائرة لا بد لهم من أن يلفوا حولها وكان طبيعيا أن تكون المسافة التى يقطعها أقربهم الى محيط الدائرة ، هى أصغر المسافات .. وكلما ابتعد المتبارى عن المحيط . كلما طالت الشقة ... وكان من حظ لوشيس أن يكون الاخير فى الاقتراع . أى أن يكون أبعد الجميع عن محيط دائرة الوسط .. ولكنه تقبل حكم الحظ هادئا راضيا ! ..

ووقفت كل عربة فى البقعة التى عينت لها . وتأهب الجميع .. وسرى اللغط بين آلاف النظارة الذين راحوا يتنبأون بالنتيجة . ويتراهنون فى سخاء . وفجأة . انبعثت دقات طبل خفت لها كل الاصوات .. وساد الهدوء والسكينة الساحة . ثم دق الطبل من جديد . فتحركت العربات الاربع منطلقة بكل ما فى الجياد من سرعة . وتتابعت المناظر

والمفاجآت . واجفلت بعض الجياد وأفلت العنان من أيدى بعض المتبارين .. وتتالت الدورات . بينمـــا ظل لوشيس دون زملائه هادئا لا يلكز جيـــاده ولا يستحثها رغم طول المسافة التى كان عليه أن يقطعها ..

فلما كانت الدورة الرابعة حدث ما اجتذب أنظـــار الجمهور الى لوشيس دون من عداه . اذ هوى من يده سوطه ذو المقبض الذهبى .فلم يشأ لوشيس أن يدعه حتى لا يفوته قصب السبق . بل استوقف الجياد .وقفز من عربته فانحنى والتقط السوط .. وعنـــدما عاد كانت الشقة بينه وبين زملائه قد تباعدت . ووجفت قلوب أنصاره وقـــد وقر فى نفوسهم ان قد ضاعت عليهم المبالغ التى وعدوا بها رهانا على فوزه .. ولكنه مال على جياده . وبدلا من أن يلهبها بسوطه أرسل من بين شفتيه صفيرا غريبا . فاذا بها تندفع كالريح وما انتهت الجولة الرابعة حتى كان لوشيس قد لحق بزملائه وفى الجولة الخامسة .فقد الاثينى سيطرته على جياده فاندفعت كالاعصار الجامح لا يقوى على كبحها ..

وجمحت خيل السورى وهو عاجز عن ردها .. فكادت تسبق جياد الاثينى . ثم لم تلبث ان تعبت جميعا . فبدأت تفتر . وتركت الفرصة لجياد الاغريقى القادم من تساليا . ولخيل الاثينى الآخر . فسبقتها ..

على أن المتبارين لم يكادوا يبلغون الدورة الســـادسة ، حتى كان موقفهم قد تغير كل التغيير ، فارتد الجميـــع وبقى لوشيس والسورى وحدهما فى المقدمة ، وقد مضت جيادهما تنهب الارض نهبا ، وسنابكها تثير العثير حولهـــا فيلف العربتين فى ارادته .. وبدا للجميع أن السورى هو السابق . وأوشكت الدورة أن تنقضى وهو ما يزال متقدما عن لوشيس

وفجأة ، رفع الشاب الرومانى سوطه ، وهوى به على ظهور جياده حتى كاد الدم ينبثق منها ، فاذا بهـــا تندفع مخلفة جياد السورى خلفها تعجز عن اللحاق بها ..

وكان لوشيس هو السباق الى النهـــاية ، فانبعث تصفيق الجمهور وهتافاتهم تصم الآذان ..

وكشخص اعتاد أن يفوز دائمــا ، قفز لوشيس من عربته ، وتقدم فى خطى خفيفة ، شامخ الانف مزهوا ، حتى بلغ مقصورة الحاكم الذى نهض عن مجلسه يقـدم اليه تاج البطولة ، وما ان تحول الشاب المظفر عن المقصورة حتى أشار فاذا سبورس يبرز من بين الحشـــد فيقف بين يديه ممسكا بحمامة أحاط لوشيس عنقها بخيـــط أرجوانى ، ثم قطع فرعين من التاج الذهبى فربطهما اليه ، وأطلق الحمامة فحلقت فى الجو متممة شطر الحى الذى يقوم فيه بيت أميكل ، حاملة البشرى ..

كان لهذين الانتصـــارين المتتابعين اللذين أحرزهمـا لوشيس وقع عظيم وضجة كبرى فى كورنثه كما كان لهما تأثير معنوى ونفسانى على نفوس الطامعين فى آخر تاج من تيجان البطولة ، فما أن حان موعد المباراة الثالثة ، وكانت فى الغناء ، حتى انسحب الطامعون تاركين الميدان للوشيس ومع ذلك فقد صمم الحاكم على عقد المباراة فى موعدها ، ولو لم يتقدم لها غير الشاب الرومانى الموفق الحظوظ ..

واختار لوشيس قطعة شعرية عن ميديا ، قيـل انها من نظم الامبراطور نيرون نفسه • وقد قص فيها كيف حمل جاسون ميديا الى كورنثه ثم هجرها وحيدة مع طفليها فلم تجد المســكينة من تصرف غير أن تترك الطفلين فى المذبح لتصعد روحاهما الى حمى الآلهة ، ثم أرسلت الى غريمتها التى

سلبتها حبيبها حلة نفثت فيها السم •• ولكن أهل كورنثة لم يدركوا الحقيقة • فانتزعوا الطفلين من المذبح ومضـــوا يرجمونهما حتى قضيا • فانتقمت لهما الآلهة بأن أرسلت على المدينة وباء حصد الاطفال حصدا • ورغم مرور خمسة عشر قرنا على هذا الحادث • فقد ظل القوم يحتفلون بالذكرى ويلبسون الاطفال فيها ثيابا ســـوداء • بعد أن يحلقوا لهم رءوسهم •

ولا تعنينا هذه القصة فى شيء • سوى انها مقدمـــة تمهد لوصف المباراة •• فقـــد انتقى لوشيس القصيدة التى تتناول القصة •

ورفع الستار على المسرح بينما كانت شمس مايو تغمر المكان وترسل من أشعتها السنة تلهب الجو وتشيع فيه حرا خانقا • رغم السرادق الذى أقيم ليحمى الناس من شواظها •

وكانت آكتيه تجلس الى جوار أبيها فى الصف الاول • وقد زانت شعرها القطعتان الذهبيتان اللتان أرسلهمـــا لوشيس اليها فى عنق الحمامة فى الليلة السابقة ••

وظهر لوشيس على المسرح • حاملا قيثارته • والى يمينه الممثل (باريس) الذى كان مكلفا بأداء الحركات التى تمثل ما يغنيه لوشيس • وبدأ الشاب المنظر بقطعة موسيقية نمت عن موهبة رائعة • ومهـــارة فائقة حتى اذا هفت الانغام بعواطف الجمهور • واستأثرت باحاسيسهم • شرع لوشيس يغنى • فاذا اللحن والصوت والمعانى ــ التى تضمنتهـــا القصيدة ــ تتسق فى انسجام تام •• وراح يصف كيف اقترب (آرجو) ــ سفين جاسون ــ من الشاطىء • حيث لقى جاسون ميديا ابنة الملك تجمع الزهور ••

وأجفلت آكتيه اذ تنبهت الى ما فى ذلك اللقاء من شبه

بلقائها بلوشيس .. وزاد وجيب قلبهـــا اذ سمعت نفس الكلمات التى تبادلتها مع الرومانى . يتبادلها بطلا القصة . وراحت تنصت وقد أمسكت أنفاسها .. ولم تعد تستطيع ان تفرق بين جاسون ولوشيس . فقد لاح لها بطل القرون الغابرة . وحبيبها الرومانى المظفر . يندمجـان في شخص واحد .. وكأنما استعار الشـــاعر اسمي جاسون وميديا . ستارا يخفي تحته اسمي لوشيس وآكتيه .. فكمــا خافت هذه النمرة . خافت ميديا من حية رقطاء استطاع جاسون أن يقطعها بسيفه اربا .. وكمـــا أخذ لوشيس ينتزع تيجان البطولة واحدا بعد الآخر . راح جاسون يتغلب على ماساقته له الاقدار من أعـــــداء ، زواحف ووحوش .. ثم هرع الى حبيبته التي كانت تتلهف على عودته مظفرا . فراح يزجي اليها كلمات الحب ويردد في أذنيهــا أهازيج الهوى . حتى هجرت أباها العجوز . وفرت معه من آســـيا الى أوروبا . معرضة عن ماضيها مؤملة في مستقبلها ..

وكان لوشيس وهو يغنى هذا الجــــزء مبدعا استثار مشاعر النســـاء الحاضرات . وأرسل في أعماق آكتيه فيضا من الحب أغرق قلبها . فراحت تنصت بكل حواسها . وقد علقت عيناها به . ومضى صدرها الناهد يتهدج وهي تخال أنها تستمع لقصتها مع المغنى .. واذ بلغ فى وصـــــفه وداع ميديا لابيها العجوز ، حين قبلته وهو نائم فتساقطت دموعها على وجهه .. التصقت آكتيه بأبيها وقد شحب وجههـــا . وأسندت رأسها الى كتفه .

وانتقل المغنى الى الخاتمة التى تحول فيها المحب المستهام الى غادر خائن ، والتى تبدل فيها الغـــرام فى قلب ميديا الى غيرة هوجاء ..

وراح صوته المشجي يصور الحب ، والجنون والأسى والفتور ، والحقد والانتقام ٠٠ فما فرغ حتى اهتزت اركان المكان لعنف التصفيق والهتاف ، وانطلقت الورود والازاهير من أيدى النساء تطير فى الفضاء لتتساقط عند قدمي لوشيس ولكنه لم يحفل باحدى هاته المعجبات بل مضت عيناه تبحثان عن واحدة بينهن ، يفوق اعجابه بها كل اعجاب به ٠

ووقعتا أخيرا على الكورنثية الحسناء ! وهى شبه فاقدة الوعى بين ذراعى أبيها ، فبسط ذراعيه نحوها على مابينهما من مسافة ـ فانتزعت زهرة من شعرها ؛ والقتها بكل ما فى وسعها من قوة ، فهوت فى الارض قبل أن تصل اليه ثم ارتمت فى أحضان أبيها ، ودفنت وجهها فى صدره وطفقت تبكى وهى ترى المدينة ـ لا الحاكم وحده ـ تتوج حبيبها باكاليل الفوز ٠

وعند فجر اليوم التالى ، انسابت السفينة الموشاة بالذهب ، مبتعدة عن شاطىء كورنثة ، تحمل (ميديا) أخرى هجرت أباها لتبقى الى جوار حبيبها ٠

وبينما كان البر يتوارى شيئا فشيئا ، حتى لم يعد يبدو منه سوى جبال سيتيرون التى أخذت تتضاءل الى أن غدت نقطة بيضاء تراقصت برهة على قمم الامواج ثم اختفت ، كانت قوى آكتيه تتسرب حتى خانتها ساقاها ، فهوت فاقدة الرشد عند قدمي لوشيس ٠

الفصل الرابع

عندما فتحت الحسناء الهاربة عينيها مرة ثانية ، وجدت نفسها ترقد على فراش فى المقصورة الكبرى بالمركب ، وقد جلس لوشيس على حافة السرير ، مسندا رأسها الى ذراعه

بينما كانت النمرة الاليفة قابعة فى أحد الاركان ، مستسلمة للنعاس ..

ولاحت لها سماء بحر يونيان خلال الثغرة التى فتحت فى السقف للتهوية ، وقد نشر الليل تحتها ستاره الحالك ؛ ترصعها النجوم اللامعة ..

وانسابت السفينة فى رفق على صفحة الماء الهادئة .. وخف السكون بالكون ، وكأنما كانت الطبيعة كلها وسنانه ناعسة ، حتى لقد خيل لآكتية انها تحلم فى خدر العذراء الذى كان يضمها فى بيت أبيها ..

وكانما كان لوشيس يقظا لاتفه حركة تند عنها ، فما ان لمح أجفانها تنفـــرج عن حدقتيها الجميلتين ، حتى طقطق باصابعه فأقبلت جارية حسناء حاملة شـمعدانا أوقدت منه مصباحا ذهبيا يقوم على قاعدة برونزية عند قدمي الفراش .

وراحت آكتيه ترمق الجارية منذ مقدمها ، وقد لاح لها انها لا ترى وجهها المليح للمرة الأولى ، فحاولت أن تبحث عن صورتها بين صفحات ذاكرتها ، ولـــكن الصفحات تكاثرت ، والذكريات تقاطرت ، حتى عجزت عن متابعتهـــا فأغمضت عينيها ثانية ، واسلمت رأسها الى الوسادة وظن لوشيس انها تود النوم ، فغادر القمرة تاركا للجارية أمر رعايتها والســـير عليها ..

ووقفت الجارية ــ بعد خروجه ــ ترقبها برهة وقد كسا ملامحها حزن غريب لا تدرى له علة ثم استلقت على البساط القرمزى الانيق ، الى جوار « فوبيه » ــ النمرة ــ بينما انبعثت من قلب السفين أنغام كتلك التى سمعتهـــا آكتية حين كانت ترقبها وهى تقترب نحو شاطىء كورنثة من قبل .. وان كان صمت الليل قد أضفى عليها مزيدا من السحر والفتنة ..

ثم تصاعد صوت لوشيس وســـط اللحن •• يغنى لنبتون اله البحر •• فى عذوبة هفت بقلب الفتــاة فعادت تفتح عينيها •• وترقب سماء الليل الصحوة المرصعة بالنجوم وقد أخذ الاسى ينحسر عن قلبهــا مخلفا اياه فى غمرة الحب وحده •• حتى اذا فرغت الاغنية••غضت بصرها فاذا بعينيها تلتقيان بعينى الجارية وقد فاضتا هما الاخريان بالاحاسيس الزاخرة التى أثارها اللحن والصوت • وزادت آكتيه وثوقا بأنها رأت ذات الوجه من قبل •• فأشارت للفتــــاة فنهضت اليها •

وظلتا برهة صامتتين ثم سألتها عن اسمها • وأجابت الجــارية •

ـ سابينا •

وبدا لها الصوت ـ كمـا بدا الوجه قبله ـ مألوفا •• فعادت تسألها :

ـ والى أى بلد تنتمين ؟

ـ تركت وطنى صغيرة •• فلست أذكر لى وطنا ••

ـ ومن مولاك ؟

ـ كنت حتى الامس ملكا للوشيس •• ولكننى اليوم جارية آكتيه •

ـ أوقضيت فى حوزته أمدا طويلا !

ـ مذ بدأت ذاكرتى تتفتح على الاحداث •

ـ فما أراك ولا شك الا مخلصة له ؟

ـ اخلاص الابنة لابيها •

ودعتها الى الجلوس بجوارها •• فترددت ثم تقدمت فى خضوع وكأنما هى تؤدى واجبا أجبرت على أدائه •• فقربتها آكتيه منها وسألتها •

ـ أما رأيتك من قبل ؟

فقالت متلعثمة : لا أظن ·· فأنا لم أبرح السفينة طيلة رسوها عند الشاطىء ·

وساد الصمت ثانية · ثم قالت آكتيه وهى تتلمس مشاعر الفتاة خلال اجاباتها :

ـ انني أدرك ما يعتريك ياسابينا · اذ استبدلت بى سيدك · ولذا فسأخبر لوشيس انك غير راغبة فى فراقه ··

فقالت الجارية فى هلع : اياك ان تفعلى · فلا بد من الصدوع لاوامر لوشيس اذا امر ·

ـ هل يقسو اذا غضب ؟

فأجابتها فى لهجة ارسلت فى أعماق آكتيه خوفا لا تدرك كنهة : بل هو فظيع فى قسوته ··

ـ ومع ذلك يبدو لى ان كل من يحيطون به يحبونه ·· فمثلا ذاك الشاب سبورس ··

وكأنما كشف لها اسم العبد عن الفكرة التى كانت تحاول ان تتذكرها فهتفت :

ـ أو تعرفين سبورس ؟

ـ انه أخى ··

ـ واين هو الآن ؟

ـ بقى فى كورنثه ·

وظهر لوشيس اذ ذاك عند الباب ·· فشعرت آكتيه أن يدى الجارية ـ وكانت قد احتوتهما بين راحتيها ـ ترتجفان ·· ووقف الرومانى يتأمل المنظر لحظة ثم قال :

ـ الا تحبين أن تستمتعى بمنظر الفجر حين يطلع على الكون يا حبيبتى آكتيه ؟

وأحست آكتيه أن تحت النعومة والعذوبة اللتين تبدتا فى

صوته .. لهجـــة حادة شبه آمرة .. لم تسمعها قبـــل اللحظة .. وسرى في صدرها شعور أقرب الى الخوف والفزع جعلها تشتم في رجائه أمرا يجب أن تطيعه للتو .. ولـــكن قواها لم تواتهـــا .. فكادت تهوى اذ نهضت لولا ان اندفع نحوها فتلقاها بين ذراعيه .. وحملها فاستكانت في صدره رغم الخوف الذى تولاها حتى لكأنه كان يحملها ليلقى بها فى هاوية سحيقة .

وقال لها وهمـــا يتكئان على سياج المركب ويسرحان بصريهما فى الأفق :

ـ ان النسيم ليحمل الينا عبير زهور (سامية) واريج برتقال (زاسينتس) .. اتحب حسنائى آكتيه ان أشيد لها قصرا فى كل من هاتين الجزيرتين الشقيقتين اللتين لا يقربهما الشتاء بأصابعه الجليدية ؟

ـ لشد ما تروعني يالوشيس حـــين تزجى الى فى بعض الاحايين وعودا لا يحققها غير الآلهة ! .. من أنت .. وما الذى تخفيه عنى من أمرك ؟

ـ لست سوى مغن مسكين .. ترك له عمه كل ثروته على شريطة أن يكتنى بكنيته.. انما تكمن كل قواى يا آكتيه فى الحب .. فبحبك أستطيع أن أواجه قوى العالم أجمع .

ـ اذن فأنت تحبنى ؟

ـ أجل .. ياغالية !

وأحست بسعادة غامرة تناست فى فيضها كل شيء .

وطالت الرحلة ســـتة أيام كانت السفينة خلالها بين زرقة السماء والبحر.. حتى اذا كان اليوم السابع .. لاحت شواطىء مدينة (لوكرى) وتسللت السفينة الى مياه البحر التيرانى .. التى ينعكس على صفحتها وميض نيران بركان

سترونجيلى ، منار البحر الابيض المتوسط الذى لا يخبو ، ومضى المركب قدما ، حتى دخل الخليج الذى ترقد عند اقصاه نابولى مستلقية عند قدمى بركان فيزوف ، فما أن لاحت المدينة للانظار حتى أمر لوشيس ، فاستبدلت بأشرعه أرجوانية ·· قلاع سفينته البيضاء ·· وتوج صاريها بغصن من الغار اعلانا لفوزه ·

ولم يك ثمة شك فى انها اشارة متفق عليها ·· اذ لم تكد السفينة تبلغ البر ·· حتى كان فى استقبالها أهل المدينة ·· فتهادت الى الشاطىء بين الموسيقى والتصفيق والهتاف ·

وكانت فى انتظار لوشيس عربة ذات جياد أربع بيضاء ·· امتطاها وقد توج رأسه بأكاليل من أغصان الزيتون ودخل المدينة دخول الفائز المظفر ·

وهكذا كان يستقبل أينما حل ·· فى طريقه الى روما ·· ومما ضاعف من حفاوة الجماهير به ·· انه عندما بلغ فوندى ·· وجد فى انتظاره عجوزا من أعرق عائلات روما وأمجدها تاريخا ·· قيل ان الآلهة تنبات منذ القدم بأن من أبنائها من سيرقى العرش يوما ·· ثم حدث أن ذهب (جالبا) ــ وهو اسم الرجل ــ فى وفد من قومه لتهنئة أوكتافيوس ·· فما رأى الامبراطور حتى ربت على خده قائلا : « وأنت يابنى ستمارس يوما سلطاننا » فشاع بين الناس أنه المختار من أسرته لانتزاع العرش وحاول تيبريوس ان يضطهده اذ خلف أوكتافيوس ·· لولا أن عرافه تنبأ له بأن (جالبا) لن يرقى العرش الا فى أرذل العمر ، فاطمأن الى أنه لن ينافسه ويزاحمه ·· فلما آل العرش الى نيرون ·· وجد الرجل عجوزا مهدما ·· يقنع بعزلته وهدوئه ·· فاطمأن الى كذب

النبوءة .

وقضى لوشيس يومين فى ضيافة جالبــا ، كان فيهما موضع حفاوة بالغة ولكن آكتيه لاحظت أنه لا ينام الا وسيفه تحت وسادته ، وأن فصيلة من الجند وفدت من روما لاستقباله كبطل منتصر فاذا بأفرادها يحيطون به كحرس ، ويسهرون الليل عند باب مخدعه ، مما أثار دهشتها وعجبهــا وان لم تجسر على أن تسأل لما تراه تفسيرا .

وأقبل موكب البطل على روما أخيرا ، فذهلت آكتيه مما رأت فلقد تجلت المدينة الخالدة كعروس فى ليلة زفافها ، واذا الطريق اليها عبر جبال الالب، تغص بالخلق بين ركب ومشاة، خرجوا يستقبلون الظافر المنتصر ، ويسيرون فى ركابه .. حتى اذا غدوا على حوالى الميــــل من أبواب روما ، استقبلتهم فصيلة من الفرسان . تقدمت الموكب وقد بدا البذخ حتى فى المعدات التى جهزت بها الخيـــــل .. وسمعت آكتيه اسم (لوشيس) يمتزج باسم (القيصر) ورأت الركب يمــــــر تحت أقواس النصر ، وينحدر من الـــــكابيتول ، الى معبد جوبيتر ، وهناك هبط لوشيس ، وارتقى الدرجات الى حيث كان الكهنة فى انتظاره ، فحفوا به وهو يســـير الى تمثال المعبود ، فبرك عنـــده .. حتى اذا نهض قدم الى رئيسهم التيجان التى فاز بها ولوحا من الذهب ، حفرت عليه كلمات قرأها على الشعب فى صـــــوت جهير .. « يرفع لوشيس دوميتس كلوديوس نيرون هذه التيجان الثلاثة التى فاز بها فى المصارعة وسباق العربات والغناء ، الى جوبيتر خير الآلهة وأقواها » .

وبين صيحات المتحمسين وهتافاتهم وتصفيقهم ، انبعثت صيحة زعر وجزع ندت من آكتيه التى تحققت أن الفقير الذى

يحبه لأنها أحبته ، لم يكن غير .. نيرون القيصر ، نفسه !

على أن الامبراطور لم ينس آكتيه فى غمرة الزهو الذى يشيه لروعة الاستقبال ، فقبل أن تفيق من دهشتها ، رأت عبدين يقتربان منها ، ويسألانها فى احترام أن تتبعهما فسارت خلفهمـا دون أن تدرى الى أين يقودانهـا ، أو تحاول أن تسألهما .

وقد استولى عليهـا خوف لا تدرى مأتاه ، وأخذت لهواجس تعبث بها ، اذ رأت نفسها عشيقة للامبراطور الذى لم يحاول قبل اللحظة أن يظهرها على شىء من حقيقته .

وألفت فى انتظارها تحت (الكابيتول) محفة يحملهـا ستة من العبيد تزين صدورهم ألواح من الفضـة البراقة ، وتحيط بأذرعتهم أساور من المعدن النفيس ، وقد جلست الى جوار المحفة ، سابينا ، التى كانت قد نسيت أمرها .

واضطجعت آكتيه على الوسـائد الحريرية الناعمة ، فحملها العبيد الى قصر (البلاتين) وسابينا تسير الى جوارها وصعدوا نحو التل ، حتى بلغوا (نافورة جوتورنا) أخيرا ، فوقفوا أمام بيت صغير ملحق بالقصر ، وأسرع العبدان اللذان قادا آكتيه فى بادىء الامر ، فوضعا سلمين الى جانبى المحفة .

وما ان هبطت الاغريقية الحسناء ، حتى فتح الباب . ثم أغلق خلفها اذ اجتازته .. دون أن ترى أثرا لمن فتحه أو أغلقه .

ووجدت نفسها وحيدة الا من سابينا التى قادتها الى قاعة تستريح فيها .. فتهالكت على أول مقعد صادفها .. وهى لا تزال بمباردة الذهن .. لاتكاد تلم شعث حواسها .. بعد أن تفرقت بددا أثر الصدمة التى فوجئت بها حين اكتشفت أنها انما قطعت هذه الرحلة الطويلة فى ركاب الامبراطور .

ولعل السيد القدير الذى جاء بها ‥ كان قد حدس ما سوف يعروها فأشفق أن يدعهـــا لافكارها فاذا بأنغام تتصاعد فى الجو من كل ركن فى الحجرة ‥ كأنما دبرها ساحر عليم ‥ وهفت النغمات الناعمة بأعصابها المكدودة ‥ فارتاحت اليها ‥ وأمسكت دموعها ‥ وتراقص على شفتيها شبح ابتسامة باهتة .

واذ ذاك ‥ اقتربت سابينا منها ‥ فراحت تنضو عنها ثيابها ‥ وهى لا تحير حراكا ‥ أو تعارض .

فلما فرغت الجارية ‥ قادتها عارية الى حجرة واسعة يتوسطها حوض كبير ‥ تلقتهما عنده جوار حسان ‥ زانت شعورهن الزهور والأكاليل ‥ فأحطن بها ‥ ودفعن ناحية حافة الحوض القريبة منها ‥ زورقا صغير من العاج ‥ كأنه شطر احدى الاصداف ‥ فتقدمت آكتيه وكأنهـــا فى حلم غريب وجلست فى الزورق وما لبثت أن وجدت نفسها وسط الحوض ‥ كفينوس تحيط بها جواريها .

وعادت الموسيقى الناعمة تسرى فى الجو ‥ وانطلقت الغوانى يلعبن فى المـــاء ‥ ويمزحن ‥ وقد تصاعدت ضحكاتهن تملأ المكان مرحا ‥ فما هى الا لحظات ‥ حتى وجدت آكتيه نفسها تنساق بغريزتها الى مشاطرتهن .

ثم لمحت سابينــا على حين غرة ‥ تقف فى معزل عن الجميع خارج الحوض ‥ وقد أرخت على وجههـــا قناعا ‥ فدعتها وهى تتضاحك ‥ ولكن الجارية أشاحت وأعرضت ‥ فظنت أنها تخشى وهى الجارية الرقيق ‥ أن تشاطر عشيقة الامبراطور مرحها ‥ فخرجت لها بنفسها من الماء ‥ وهرعت نحوها وقد نسيت أنها عارية كما ولدتها أمها ‥ وأن الماء يقطر من جسدها ‥ وراحت تجتذبها نحو الحوض فى رفق

بينما كانت الغانيات يضحكن مما أصاب الجارية من ارتباك واضطراب ٠

والواقع أن آكتيه ذهلت اذ رأت الدماء تنحسر عن وجه سابينا فتخلفه أصفر شاحبا ٠٠ وخيل اليها انها موشكة على الاغماء ، فمدت ذراعيها وضمتها الى صدرها ٠٠ بيد انهـــا سرعان مادفعتها عنها ، وقد ندت منها صرخة حادة اذ عضتها الجارية في كتفها البضة ٠٠ ثم اندفعت مسرعة خارج المكان ٠

وجرت الغوانى اذ ظننها أصيبت بسوء ، حتى اذا تحققن مما جرى ، قدنها نحو الحمام الساخن وآكتيه فى ذهول عميق مما حدث ، لا تدرى لما أتته سابينا تعليلا ٠

وكان البخار يتصاعد حارا ساخنا فيعبق به جو الحجرة ولا يلبث أن ينعقد سحائب تملأ الفراغ ، حتى ضاقت أنفاس آكتيه ، فاذا باحدى الجوارى تجـــذب سلسلة ، وسرعان ما انزاحت عن السقف صحيفة من ذهب ٠٠ فاذا بثغرة انساب منها بعض البخار الى الخارج وحل محله بعض الهواء البارد ٠

وأحست آكتيه خوارا يدب فى كل جسدها ، وتهالكا ، وكلالا ، ثم استسلمت لايدى المدلكات والغاسلات ، وهى فى شبه نشوة وسنانة ٠٠ فلمــا انتهين من التدليك والغسل ، تراجعن لتتقـدم جاريتان نشرتا بينهمـــا عباءة أرجوانية من الصوف ، دثرتاها بها ، ثم حملتـاها وهى تكاد تكون فاقدة الحس ، الى أريكه فى حجرة أخرى ٠

وأقبلت جاريتان أخريان ، تدلكانها بالطيب والزيوت المعطرة ، وآكتيه صامته ، مستسلمة فى خوار محبـــب الى النفس ٠

بيد انها لم تلبث أن أحست بالبـاب يفتح ، فظنت ان جارية جديدة قادمة ، وظلت فى مرقدها ، لا تكاد تحرك طرفا

من أطرافها •

وسمعت وقــــع قدمين تقتربان حتى بلغتا الأريكة ، فبذلت كل ما بقى فى جســدها من قوة حتى استطاعت ان تلتفت ، فاذا هى أمام امرأة فى ثوب كساها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، تخطو نحوها فى جلال ومهــابة ، وفى خطى متئدة ، كأنها شبح يبرز من عالم الخيال •

وانحنت القادمة فوقها تتأملها بعينين نفاذتين خالتهمـا آكتيه تتغلغلان الى أعماقها ، فتكشفان كل خبيئتها ••

وما لبثت المرأة ان قالت فى صوت رهيب ، وقد بدت كل كلمة من كلماتها حادة جارحة كنصل السيف •

ـ أأنت الكورنثية الشابة التى هجرت أباها ووطنهـا لتتبع الامبراطور ؟ •

وتضمنت هذه الكلمات القلائل كل حيــاة آكتيه •• سعادتها وشقوتها •• ماضيهــا ومستقبلها ! وأحست الفتاة بسيل من الذكريات يطغى على ذاكرتهــا ، ورأت بعين الخيال مناظر طفولتها وصباها •• وتخيلت أباها المســـكين وهو يناديها غداة فرارها من بيته فلا يجــيبها •• وذكرت تلك الصدمة التى أذهلتها حين تبينت ان عشيقهــا ليس سوى الامبراطور •• وما تولاها من خوف ورهبــة إذ كشفت هذا السر •• فغطت وجهها براحتيها وهتفت وهى تشهق باكية :

أجل •• أنا المتعوسة الشقية !

ومرت لحظات شعرت خلالها بعينى المرأة تتفحصانها •• ثم أحست يدها تمتد فتمس راحتها فى رفق شجعها على أن تتجاسر وتتطلع اليها •• فاذا عيناها لا تزالان مصــوبتين نحوها •

وقالت المرأة وصوتها محتفظ برهبته وان شابته رنة

اشفاق :

ــ ان القدر لغز غامض ·· فهـــو قد يضع سعادة امبراطورية أو دمارها ·· في يد طفل صغير !··ولعل الآلهة لم ترسلك لتكوني نذير نقمة ·· وانما أوفدتك بشير أمل ·

ــ لقد أجرمت ·· وما جريمتي الا انني أحببت ·· ان قلبي لا ينطوي على ذرة من شر ·· واذا لم يكن مقدرا لي أن أسعد ·· فكم أتمنى لو استطيع ان أسعد غيري ! · ولكنني وحيدة ·· ضعيفة لا حول لي ولا قوة ·· ارشديني الى الطريق تجديني أنطلق فيه لا الوى على شيء ·

ــ ولكن هل عرفت ــ قبل كل شيء ــ ذاك الرجل الذي اسلمته مصيرك ؟

ــ لم أعرف قبل اليوم ان لوشيس ونيرون شخص واحد وان حبيبي هو الامبراطور نفسه ·· انني ــ ككل اغريقية ــ بهرت بالقوة والجمال والغناء · فتبعت الظفر فيها دون أن أدري انه سيد العالم ·· انه الشخص الذي نشأت على أن أعتبره الها ·

ــ اذن فأنت لا تعرفين عنه شيئا ·· فتعـالى أحدثك عنه ·· اذ من حق العشيقة ان تعرف شيئا عن عشيقها ومن حق العبد أن يلم بطرف من قصة سيده ·· لقد كان لوشيس منذ مولده أبعد الناس عن العرش ·· فاقترب منه بالزواج ·· ثم اعتلاه بجريمة ·

فصاحت آكتيه :

ــ انه لم يرتكبها ·

ــ ولكنه الوحيد الذي أفاد من ورائهـــا ·· وما ان غربت شمس كلوديس ·· حتى أفلت في أثرها شـــمس بريتـــا نيكس ، وكان نيرون في هذه المرة مرتكب الجريمة

أوترتابين فى قولى يافتـــاة ؟ •• اذن •• فاسمعى كيف تم ذلك ••

كان نيرون يوما يلعب مع بعض الاطفال فى حجرة تجاور القاعة التى كانت آجريبينا تعقد فيها اجتماعاتها •• وكان بريتانيكس بين الاطفال •• فأمره نيرون أن يذهب الى قاعة المائدة فيغنى للضيوف ظنا منه انه بذلك يرهب الصبى ويثير ضحك البلاط عليه • وصدع بريتانيكس بالامر وهو شاحب الوجه بادى الاسى والذلة••فانطلق يغنى قطعة (اشتياناكيس) والدمع يجول فى مقلتيه :

ــ آه يا أبت ! •• آه ياوطنى ! •• آه ياقصر آبائى !• لقد رأيتك تتهدم تحت قبضة غريب ، وتغدو شـعلة متقدة من نار ! •

فاذا بالضحكات تتلاشى ، وبالدموع تسيل من المآقى وسكت الماجنون فى روعه الاسى وغمرته •••

ولكن هذا الحادث أوحى بمصير بريتانيكس وكانت فى سجون روما اذ ذاك ، عجوز داهية تدعى لوكستا ، اشتهرت بحذقها فى تحضير السموم ، فاستدعى نيرون أحـد أعوانه وأوفده اليها •• اذ لم يجسر ــ وهو الامبراطور ــ أن يلقاها بنفسه ، فعاد اليه الرجل فى اليـــوم التالى بالسم الذى ينشده •• ولامر من الامور ، لم يؤثر السـ ـــم مفعوله فى بريتانيكس ! •

فاستدعى نيرون العجوز السجينة الى قصره ، وانفرد بها فى مخدعه ، وحملها على أن تنكب الى جـوار المدفأة على اعداد سم فاتك جرب مفعوله أولا فى عنز ، ثم فى وعل •• وذهب فاستحم وتطيب واكتسى بثوب أبيض ، وجلس وعلى ثغره ابتسامة الرضا ، الى مائدة مجاورة لتـلك التى يجلس عليها بريتانيكس •

ومع أن كل طعام وشراب كان يقدم الى عبد يتذوقه قبل أن يمسه بريتانيكس ، الا أن الشراب فى ذلك اليوم قــدم اليه ساخنا جدا ، بعد أن تذوقه العبد ، فمـا ارتشف منه رشفة حتى صرخ متألما ، وطلب ماء باردا يضيفه اليه ليخفف من حرارته ٠٠ وفى ذلك الماء دس السم ٠٠

ومات بريتانيكس دون أن يصرخ أو يشكو ، أو يتألم ٠

وهرع بعض الحضور ، وبقى البعض جامدين لا يحيرون حراكا ٠٠

وكان نيرون يغنى اذ ذاك ، فقام وانحنى على بريتانيكس ثم قال :

ـ لاضرر هنـاك ولا سوء ٠٠ سيستعيد حواسه بعد لحظات ٠٠

وعاد يتابع الغناء ٠٠

ومن ذلك اليوم أصبح نيرون نبيلا ، وأصبح خليفة اسرة « اهينوبربس » ـ أى « ذوو اللحى الحمراء » ـ فاضطهد أوكتافيا التى يدين لها باعتلاء العرش ، ونفاها الى «كمبانيا» حيث وضعها تحت رقابة شديدة ، ثم انكب على حياة اللهو والعبث والترف والبذخ التى أذهل روما بها عامين كاملين ٠

هذا البطل المظفر الذى تحبينه يافتاة ٠٠ هذا الامبراطور الذى يرفعه الجميع الى مرتبة الآلهة لا يتورع عن أن يتسلل من قصره تحت جنح الظلام ٠٠ متنكرا فى زى عبد أو خادم فيهرع الى البؤر التى يرتادها حثالة الشعب وابنـاء احط الطبقات ، ويقضى الليـل يردد على أسماعهم أغانيه ٠٠ ثم يخرج على رأس رفاقه الخليعين وقد عبثت الخمر برءوسهم ٠٠ فيطوفون بطرقات المدينة ٠٠ يتبجحون على النساء ٠٠ ويؤذون الرجال ٠٠ ويقتحمون البيوت ٠٠ حتى يعــود الى القصر

الذهبى » • وقد حمل ــ فى بعض الاحيان ــ آثارا مخجلة •• من ضربات أولئك الذين يستثيرهم فيردون عليه أذاه ••

فصرخت آكتيه : محال !•• انك ناقمة عليه • تحاولين تشويه سمعته !

ــ لست أقص عليك سوى الحق الصريح • اننى أمه !•

فقفزت آكتيه من مجلسها •• وركعت عند قدميهـــا هاتفة :

ــ أأنت اجريبينا ؟ •• ابنة وأرمل وأم الاباطرة ؟ •• أتقف اجريبينا أمام فتاة اغريقية بائسة !؟ •• أواه •• ما الذى أفعله من أجلك • مرينى•• اطعك • الا اذا أردتنى على أن أكف عن حبه •• فليس هذا فى طوقى رغم كل ما سمعت منك ••

ــ بل ابقى على حب القيصر يا صغيرتى •• بكل الولاء الذى كنت تدينين به فى الهوى للوشيس •• ففى حبك كل ما بقى من أمل •• ان الطهر والبراءة اللـــذين يتجليان فى حبك •• هما السلاح الذى يقضى على الشر والخبث الذى فى حب غيرك •

ــ غيرى ! •• اذن فالقيصر يحب سواى ؟ •• ما كنت أعرف ذلك •• فما خطر لى أن أسأل عن القيصر حين قررت أتبع لوشيس !•• لم يكن للامبراطور قيمة فى نظرى •• فقد وهبت لوشيس حياتى وأنا لا أدرى حقيقة شخصيته •• ومن تلك المرأة اذن ؟ •

ــ ابنة لطخت شرف أبيها •• زوجة خدعت زوجهـــا وخانته •• امرأة وهبتها الآلهة كل آيات الجمال •• وضنت عليها بالقلب •• فلا قلب لها •• انها سابينا بوبيا •

ـ أواه ٠٠ لقد سمعت قصتها من أبى ٠٠ وما دريت انها ستكون يوما قصتى أنا الأخرى ٠٠ وهل هو باق على حبها ؟ ٠٠

فقالت وهى تسكب الحقد خلال كلماتها :

ـ أجل ٠٠ ولسبب خفى غامض ٠٠ للعنة كتلك التى صنبتها فيسونة على كاليجولا ٠

ـ رحماك أيتها الآلهـــة ! ٠٠ أما كفانى عقابا ٠٠ أما كفانى شقاء ؟ ٠٠

ـ ان ماتعانينه ليقل كثيرا عما أعانيه ٠٠ فقد كنت حرة فى أن تطرحى عنك هواه وان تهجريه أما أنا ٠٠ فلم يكن لى من خيار ٠٠ اذ فرضتـــه الآلهة على فرضا ٠٠ حين جعلتنى أمه هل عرفت دورك الآن ؟ ٠٠ أياك أن تفرى أو تهربى ٠٠ المهم يقولون انه يحبك ٠٠ فعليك أن تجعلى هذا الحب يثمر واحمليه بقوته على أن يطرح عنه السوء والخبث ٠٠ فتنقذى بذلك روما والامبراطور نفسه ٠٠ انك المرأة الطاهرة الوحيدة التى تستطيع اداء هذا الواجب ٠

وأقبل اذ ذاك عبـــد يدعو آكتيه الى حضرة الامبراطور فما رأته حتى هتفت فى دهشة وعجب : سبورس ٠ !

وغطت اجريبينا وجهها بطرف وشاحها ٠٠ وقالت لها :

ـ هيا اذهبى اليه !

الفصل الخامس

سدلت آكتيه على وجههـــا نقابا ٠٠ واتشحت بمئزر طويل سابغ ٠٠ ثم تبعت سبورس فى ابهاء القصر وردهاته الطويلة الكثيرة التعرجات والانثناءات ٠٠ حتى بلغا بابا فتحه سبورس بمفتاح من ذهب أسلمه اليها كى تســتعين به اذا

عادت وحدها ·· وقادها خلال هـــذا الباب ·· الى حدائق القصر الذهبى · الواسعة الشاسعة ·· التى جمعت اندر النباتات والزهور ·· والتى تتنقل بين أفنانها أندر الطيور وتسبح فى بركها المائية وجداولها أندر الاسماك ·· فهى قد حوت كل نادر طريف !؟

وسرت الخضرة اليانعة والنسيم العليل عن آكتيه بعض ما بها ·· فقطعت الصمت قائلة : اذن فقـــد كانت سابينا تكذبنى القول حين زعمت انك بقيت فى كورنثه يا سبورس ؟·

ـ بل حدثتك صدقا ·· فقد تخلفت فعــلا عن ركب لوشيس ·· ولكننى لم ألبث أن أبحرت فى مركب اتجهت رأسا صوب كالابريا عن طريق بروندیزيم ·· فبلغت روما فى ذات اليوم الذى وصل فيه الامبراطور ·

ـ لا بد أن سابينا ابتهجت لرؤيتك ·· فانهـا تحبك أبلغ الحب ·

ـ لاعجب ·· فلسنا شقيقين فحسب ·· بل اننا أيضا توأمين ·· ولكن سابينا لم يعــــد لها فى روما بقاء ·· أو بارحتها كرغبة القيصر المقدس ·

ـ والى أين ذهبت ؟

ـ لست أدرى ··

وأحست آكتيه بشىء من التردد والحرج فى لهجـــة العبد ·· فلم تشأ أن تمضى فى اسئلتها ·· وواصلا السير بين الاشجار الكثيفة ·· والصمت يفرض عليهمـــا نفسه رفيقا ·· حتى سمعت آكتيه صيحة آدمية متوجعة فاجفلت مذعورة ·· ولكن سبورس طمأنها ·· ذاكرا انهمـا يسيران على مقربة من السجن الذى زج فيه المسيحيون ليلقوا أحياء الى الاسود فى الحفلات العامة ·· فجدت آكتيه السير مبتعدة

وهي ترتجف فرقا واشمئزاز واشفاقا على أولئك المتعوسين من المصير القاسى الفظيع الذى ينتظرهم ..

ولاحت أخيرا أضواء القصر الكبير .. فما كان المبنى الذى نزلت به سوى قصر صغير ملحق بالقصر الذهبى .. واستقبلتهما ألحان وانغام تنبعث منه .. فتمسلأ الجو فتنة وسحرا .

وسارت فى أثر سبورس الى ردهة القصر . ثم توقفت مذهولة .. تتأمل المكان وترقب مافيه من وشى بالعاج والذهب والبرونز .. وكأنما هى فى حلم .. ولمحت تمثالا ضخما للامبراطور .. فارتجفت وهى تسائل نفسها .. أى سلطان يستمتع به هذا الرجل الذى يقيم لنفسه تمثالا بهذا الحجم . ويلحق بقصره حديقة تبز أكبر الغابات .. بما فيها من أحراش وبرك مائية وجداول وأشجار والذى يتلهى فى سويعات متعته وعبثه .. بالقاء الآدميين أحياء الى الاسود والنمور ؟! ..

وصعدت خلف سبورس الدرجات المؤدية الى الجناح الخاص بلوشيس . فلما بلغا باب مخدعه .. استوقفت العبد ووقفت برهة مترددة خائفة .. ثم تمالكت نفسها فأشارت له ففتح الباب بينما كان قلبها يقفز فى صدرها لفرط الانفعال ..

ولمحت لوشيس مضطجعا على أريكة .. فى ثوب أبيض بسيط .. فتبخرت من رأسها الهواجس .

كانت تخال ان عواطفها قد تغيرت بعد أن وجدت ان فتاها سيد العالم وحاكمه..ولكنها ما كادت تراه .. حتى تلاشت صورة القيصر من مخيلتها .. ولم تعد تلوح لعينيها سوى صورة لوشيس بطلها المظفر الحبيب..فهمت أن تندفع

نحوه لولا أن خانتها قواها ·· فجثت في منتصف الطـريق باسطة ذراعيها نحوه وهتفت :

ـ لوشيس ·· انك مازلت لوشيس الذى عرفتـه ·· اليس كذلك ؛

فأجابها فى رقة وحنان :

ـ أجل ياحسنائى الكورنثية ·· لم أزل لوشيس فخففى عنك ! ·· ألم تحبينى لاننى كنت صاحب الاسم ·· لاصاحب التاج · والامبراطورية ·· والملك العريض ! ·· ألم تحبينى لشخصى لا لجاهى ككل من يحطن بى هنا ؟ ·· تعالى يا آكتيه ·· ان الدنيا تحت قدمى أما أنت ·· فبين ذراعى !

واندفعت اليه ·· فألقت بنفسها على صدره ·· وهى تصيح :

ـ أواه ! ·· كنت أعرف ان لوشيس ليس بالقـاسى الجاحد ·· الذى يزعمونه !

ـ قاس ·· جاحد !؟ ·· من ذا الذى زعم ذلك ؟

ـ لا · معذرة · أن الاسد يعـد أحيانا قاسيا · لانه قد لا يحس قوته فيبطش بمن يحب حين يعـانقه ·· أواه ياأسدى ·· هلا ترفقت بظبيتك !؟

ـ هونى عن نفسك يا آكتيه ·· فان الاسد لا يشحذ مخالبه وأنيابه الا ليؤدب من يعادونه ·

ـ لست خائفـة من لوشيس ·· فانه دائما ضـيفى وحبيبى الذى عرفته وهجرت من أجله الوطن والاهل طامعة فى أن يجزينى حبا عما ضحيت به فى سبيله ·· انما أخاف القيصر الذى نفى أوكتافيا أخاف نيرون زوج بوبيا المرتقب! ··

فصاح وقد قفز من مجلسـه ·· وراح يحـدق فى وجهها :

ـ اذن فقد قابلت أمى ٠٠ اذن فهى التى نبأتك اننى قاس .. والتى ذكرت لك أمر أوكتافيا التى أمقتها .. والتى تظلها هى بحمايتها ٠٠ والتى دفعت بها الى على الرغم منى ٠٠ فلم أتخلص منها الا بعد عناء ومشقة ٠٠ آه شدما تخطئان حين يجول بخاطريهما ان بوسعهما ان تنالا منى شيئا بما تدبرانه من وشايات وتحوكانه من مؤامرات ٠٠ لقد كدت أنسى هذه المرأة التى جعلتها الآلهة خاتمة لسلالة لعينة ولن أسمح لأحد أن يذكرنى بها !

ولم يفرغ لوشيس من كلماته ، حتى كانت آكتيه قد تهالكت شاحبة الوجه ، مغرورقة العينين مبهورة ، جزعة ، ولكنه استطرد وفى عينيه تلك النظرة التى طالما بعثت الفزع فى روما بأسرها :

ـ أجل ، لابد أن أجريبينا قد ذكرت لك أن حبك لى سيكلفك غاليا ، وزعمت لك أنك لم تحبى غير وحش مفترس لابد أنها قصت عليك موت بريتانيكس ويوليوس مونتانس ، وغيرهما ٠٠ ولكنها حرصت على ألا تحكى لك أن أحدهما حاول أن يسلبنى عرشى ، وأن الآخر ضربنى بالعصا على وجهى ٠٠ لكأن حياة أمى أطهر وأعف من حياتى !

فصرخت آكتيه :

ـ لوشيس ٠٠ كفى يالوشيس بحق الآلهة !

ـ لقد أفضت لك بنصف أسرار الاسرة ٠٠ فدعينى أبوح لك بالنصف الآخر ٠٠ هذه المرأة التى تلومنى لموت طفل ٠٠ نفاها أخوها كاليجولا يوما لخلاعتها واستهتارها رغم أنه كان أبعد الناس عن المغالاة فى التمسك بالآداب والاخلاق ٠٠ فلما ولى كلوديس العرش ، دعاها من منفاها فتزوجت من كريسيس باسينس ، سليل احدى الاسرات

العريقة ، فكان من الغباء بحيث أوصى لها بكل ثروته ، فلما استبطأت موته ، دبرت مقتله ٠

ثم بدأ الصراع بينها وبين ميسالينا ، ففازت بكلوديس وغدت عشيقة خالها ٠٠ ومن ثم نشأت عندها فكرة الاستئثار بالحكم عن طريقي ٠٠ وكانت أوكتافيا — ابنة الامبراطور — قد زوجت من سيلانس ، فتآمرت على اتهامه بالزنا ، فلم يلبث أن انتحر ٠٠ وغدت أوكتافيا أرملة ٠

وتحولت فدبرت مقتل لوليا باولينا ، منافستها في الفوز بقلب الامبراطور ٠٠ واذ ذاك خلا لها الجـو فتزوجت من خالها — كلوديس — وسعت حتى حملته على أن يتبناني ٠٠ وعلى أن يستصدر من مجلس الشيوخ قرارا بمنحهـا لقب (أوجستا) ٠

فلما تم لها ذلك ٠٠ دست السم لكلوديس واستعانت عليه بطبيبـه الخاص اكزينوفون — فغدت أرملة للمـرة الثالثة

ثم رفعتني الى العرش لتحـكم باسمي ولاكون ستارا تلعب من ورائه ٠٠ على أنني لم أكد أرى فظائعها وجرائمها حتى ناهضتها ٠٠ فذكرتني بأنني لست من الاسرة المالكة ٠٠ وما أنا الا ربيب الامبراطور وراحت تحمـد الآلهة أن حفظت لها حياة بريتانيكس ليرث عرش آبائه ٠

واقسم لك أنني ماكنت حتى ذاك اليوم أفكر في هـذا الطفل الا بقدر ما أفكر الآن في أوكتافيا لم يكن السم الذي دسسته له هو السبب في موته٠٠انما كان السبب تهديدها لي بأحلاله على العرش محلي ٠٠ ومن ثم ٠٠ لم أقتـله تلذذا بالجريمة ٠٠ وانما رغبة في اخلاء الطريق من مزاحم على الحكم والسلطان ٠ صبرا وأسمعي ٠٠ ولو أن ماسأقوله كفيل بأن

يخجل كل عذراء فى براءتك ولتقـــاء لقسمك كانت خطوتها التالية للتسلط على ٠٠ ان سعت لتغرينى على أن اتخـذها ـ وهى أمى ـ خليلة وعشيقة ٠

فصرخت آكتيه في ذعر : أواه ٠٠ كفى !

ـ وفى احدى المآدب ٠٠ وعلى مرأى من الحضور ٠٠ تقدمت منى فى أبهى زينتها ٠٠ وهى تكاد تكون عارية ٠٠ وخشى أعداؤها أن يستهوينى جمال جسدها ـ الذى لاينكر سحره أحد ـ فزجوا ببوبيا بينى وبينها ٠٠ فما رأيك الآن فى أمى يا آكتيه ؟ هذه هى أسرتنا التى يجعل النـــاس من أفرادها آلهةمقدسة ! كلنا قتلنا وسفكنا الدماء ٠٠ وارتكبنا أفظع الجرائم ٠٠ هى هواية توارثناها ٠٠ فكانت مبعث لذة لكل منا ٠٠ ولو أننى استطعت ٠٠ لقتلت أمى !

فندت من آكتيه صرخة فزع ٠٠ وانكفأت على وجهها باسطة نحوه ذراعيها ٠

ولكن القيصر استطرد وعلى شفتيه ابتسامة غريبة :

ـ أو تأخذين على محمل الجد ماقصدت به مجرد المزاح ؟٠ رفهى عن نفسك ياحمقائى الصغيرة ٠٠ فمـــا جئت لتقضى أيامك فريسة للخوف والفزع ٠٠ ؟ أو خفت حين استدعيك أن ألوى ذراعيك٠٠أو أفصل ساقيك عن بدنك وانا اطوقك بذراعى ؟٠٠ أفيقى ٠٠ أأنا القيصر ؟٠ أأنا نيرون ؟ أأنا ابن اجريبينا ؟ آنك تحلمين يا ابنة كورنثية الساحرة ٠٠ فما أنا الا لوشيس المصارع ٠٠ سائق العربة ٠ المغنى ذو القيثارة الذهبية والصوت الجميل ٠

فقالت وهى تسند رأسها الى كتفه :

ـ كم يخيل الى أحيانا اننى فى حلم لن ألبث أن أصحو منه فأجدنى تحت سقف أبى ٠٠ ألا رفقا بضعفى يالوشيس

ولا تسقنى الى الجنون •

ـ وانى لك هـذه الهواجس يالحاتنتى ؟ اذا لم يرضك هذا القصر أقمت لك آخر من ذهب وفضة واذا شممت من العبيد الذين يخدمونك تقصيرا في احترامك فمرى يساقوا الى الموت سوقا •• كل بغية لك نافذة •• فتمني تعطى ! •

ـ أعرف ان لك من السلطات ما يمكنك من أن تتيح لى كل ما أطلب ، الا راحة البال ، والاطمئنان الى أن لوشيس لى وحدى •• لا يزال أمامى جانب من نفسـك ينزوى تحت ظلمات الغموض •• انما أنت لروما ، للامبراطورية ، للعالم كله ، لا لى وحدى •• لك أسرار خفية ، وفى قلبـك تعتمل البغضاء نحو أناس لا أعرفهم ، ويختلج الحب لقوم لا أدرى من يكونون •• فى أشد لحظات انتشائنا بالحب ، قد يفتح باب من خلفي ـ كما يحدث الآن فعلا ـ ويشير اليك حاجب باشارة خفية لا أدركها •

فقال نيرون للحاجب الذى بدا عند الباب فعلا :

ـ ماذا هناك يا انيستس ؟

ـ المرأة التى أمر بهـا القيصر المقدس • فى انتظار مولاى •

فقالت آكتيه وقد انصرف الحاجب :

ـ أرأيت ؟ • انها امرأة •• ولقد رأيتك تجفل عندمـا سمعت اسمها •

ـ أوليس ثمـة عاطفة تبعث على الاجفال ، غير ذكر الحب ؟

ـ انى لاعرفها يالوشيس •• انها •• انها بوبيا •

ـ بل أنت مخطئة ، فما هى غير لوكستا !

وغادر نيرون مجلسه فسـلك بعض الردهات السرية

الخفية ، التي لا يعرفها سواه وسوى نفر من أخلص خدمه وعبيده حتى انتهى الى حجرة صغيرة لا نوافذ لها ٠٠ سوى ثغرة فى سقفها يتسرب منها النور والهواء ٠٠ ولا تكاد تتسع لاخراج سحب الدخان المنبعثة من مباخر برونزية نثرت فى جنبات الحجرة ٠٠ الى جوار أوعية وقنان من زجاج ، مختلفة أشكالها وحجومها وألوانها ، أحكمت سداداتها وأغطيتها ٠٠ وعلت جوانبها كتابات غريبة ٠٠ ولفها جو غامض ٠ وكانت العين تقع فضلا عن كل هذا ٠٠ على اعشاب ونباتات مجففة من كل نوع وصنف ٠٠ وعلى رءوس واذناب ثعابين واجزاء اقتطعت من أجسام مختلف الحيوان الكاسر والاليف ٠٠ مجموعة من أشياء غريبة متباينة ، تبعث على الرهبة ٠٠ وتوحي للداخل بحقيقة المكان ٠

فهنا كان الوكر الذى تجرى فيه عمليات السحر وتحضير أفتك السموم مما يستعين به الامبراطور على تحقيق أغراضه ومطامحه ٠

ووجد نيرون فى انتظاره هناك امرأة اتشحت بالسواد وقد انكبت على أحد النباتات فى استغراق جعلها لا تفطن الى مقدم الامبراطور ٠ بل ظلت فى عملها وقد انعكست على وجهها الوان من الخوف والبغضاء والاشمئزاز ٠

فلما انتبهت أخيرا ٠ تطلعت اليه فاذا وجهها ينم عن أنها لم تتخط السابعة والثلاثين من عمرها ٠ واذا على قسماته مسحة من جمال عفى عليه طول السهر والاسراف فى اللهو والعبث ٠

وبادرت نيرون متسائلة :

ـ ما الذى تبغيه الآن منى ؟ ٠

فأجابها :

ـ أو تذكرين الماضي أولا ؟ ٠٠ أو تذكرين كيف انتشلتك من غياهب السجن حيث كنت تعانين مرارة الموت البطيء ٠٠ في بقعة قذرة مليئة بالهوام والحشرات ؟ ٠ أو تذكرين كيف شيدت لك بيتا خاصا زودته بأفخر الرياش ٠ كأنما اقمته لعشيقة غالية ؟ . لقد جعلت من مهنتك التي كانت تعتبر من قبيل الاجرام ٠٠ فنا من الفنون التي ينظر اليهـا بعين الاحترام ٠

ـ ولقد جازيتك عن هذا بأن اتحت لك نصف سلطان جوبيتر ٠٠ جعلت الموت رهن اشارتك فمن الذى تسعى لموته هذه المرة ؟

ـ انه عدو خطر ، قوى لا استطيـع ان أهمس باسمه ولو لتمثال الصمت والكتمان ٠ كل ما عليك هو ان تحرصي على أن يكون السم في هذه المرة فعالا يقتل لاول وهلة ٠

ـ ليس أسهل من تحضيـر سم فتاك ٠٠ ولكنني لم أسألك عن الضحية الجديدة الا لاعد لـكل حال لبوسها ٠٠ فلعلك تعلم ان من الناس من يروض امعاءه على تقبل السموم فهو يزجي اليها جرعات متفاوتة منها ٠٠ آنا بعد آخر ٠ حتى تعتادها ٠ فلا تتأثر بها ٠

ـ للمرة الثانية أذكر لك انني لن افضي لك باسـم عدوى ٠ فسلي فنك وسحرك أن يعوضاك عن ذلك ٠

ـ اذن ، فلن أستطيع اعداد شيء هنا ٠٠ فدعني أنصرف وسأعود بعد ساعتين ٠

ـ بل انني سأصحبك ولا تخشي شرا فسأكون وحيدا معك ٠٠

وتبع الساحرة فغادرا القصر الذهبي ، واتخذا سبيلهما

خلال طرقات روما المعتمة ، دون ان يتبعهمـــا جندى أو يحرسهما ، أو يسبقهما عبد يضىء لهما السبيل ·· حتى اذا بلغا بيت (لوكستا) طرقت الباب طرقة خاصة ، ففتحتـــه عجوز أفسحت لهما الطريق ، فيممت لوكستا شطرا المكان الذى اعتادت ان تعد فيه سمومها ، والقيصر فى أثرها ·

وكانت الحجرة ممتلئة بالهياكل العظيمـــة والموميات المصرية ، والتماسيح والزواحف المحنطـة وتبين الامبراطور وسط هذه المجموعة العربية ، جمجمة انسان التفت حولهـا حية رقطاء تطلعت اليها لحظة بعينين كانهما جمرتان متقدتان ثم تحولت الى اناء به لبن ، دست فيه رأسها وراحت تلعق مما احتوى ··

وأشعلت لوكستا نارا أخذت تذكى ضرامها ، ثم أرسلت من بين شفتيها صفيرا حادا · فسعت اليهـا الحية فى خوف وتردد ·

فانحنت المرأة وثبتت أصبعين حول رأسها ورفعتهـا معرضة الرأس للهب ·· وتلوت الحية فى ألم وابيض جلدها اذ تحلل مافيه من سم وأخذت ترتجف ثم انطلقت من فيها ثلاث أو ربع نقط من هذا السم فسقطت على الجمر ·

وكان هذا كل ما ابتغته لوكستا · فأفلتتها ، وتناولت الجمر فوضعته في قطعة من قماش وغادرت البيت تقود عنزا صغيرة والامبراطور يتبعها فى صمت حتى بلغا (تل اسيكيلين) واشرق القمـر اذ ذاك ، فلاحت لاعينهمــــا جثث المجرمين والمسيحيين ·· وقد علقت على عمد من خشب بعد اعدامها ·

وسارت لوكستا حتى بلغت كثيبا ركعت عنده ، فاحتفرت فى الارض حفرة القت فيها بالجمرات ثم أدنت العنز ، وقطعت

الشريان الذى يجرى فى حلقها ، وأطلقت مافاض منه من دماء على ما فى الحفرة ..

وراحت تتمتم خاشعة ، فى استغراق ، برهة طويلة .. ثم نهضت أخيرا وقالت :

ـ لقد عجز كل ما فى طاعتى من قوى السحر ، ازاء مالديها من سلطان .

ـ أو تعرفين اذن ضحيتى ؟

ـ أجل ، انها أمك ..

ـ حسنا ، سأبحث عن وسائل أخرى تنيلنى بغيتى .

وانصرف الى (القصر البلاتينى) فى طيات الظلام .

وفى الصباح التالى تلقت آكتيه رسالة من حبيبها يدعوها الى اللحاق به فى (بايبه) حيث أعتزم ـ برفقة أمه أجريبينا ان يحتفل بعيد (مينرفا) .

الفصل السادس

كانت الساعة العاشرة من مساء احدى الليالى بعد أسبوع من الحوادث السابقة ، وقد بزغ القمر .. وأرسل أشعته تغمر خليج نابولى .. حيث راحت بعض القوارب تتسلل من آن لآخر . هادئة كأنها تخشى أن يعتكر صوت ارتطام مجاذيفها بالماء .. أو حفيف احتكاكهـا بصفحته .. صفاء الليل وهدوءه .

وانقضت ساعة أخرى . ازداد الليل فيها هدوءا وسكينة والسماء صفاء واشراقا .. والبحر استكانة ونعاسا . وبدت الليلة من أروع ليالى نابولى الساحرة .

وفجأة ، رأى ملاحو السفن الراسية قرب الشاطىء

أضواء مشاعل تنعكس من بين أشـــجار البرتقال التى يقبع خلفها قصر (باولى) ··· وسمعوا اصـــــواتا تزخر بالمرح والسرور ··· ثم رأوا جماعة تبرز من بين الاشجار ساعية الى قوارب كانت تنتظر عند الشاطىء ، يتقدمها مركب ضخم تألق تحت وهج المشاعل مازين به من وشي بالذهب والفضة ··

ودهش الملاحون اذ رأوا على رأس الجمـــاعة القيصر نيرون ، وقد اتكأت على ذراعه أمه اجريبينا ، وشاع فى وجهيهما البشر والحبور ··

كان المنظر خليقا بأن يبعث على الدهشة حقا ، فما رأى الناس اجريبينا فى صحبة نيرون ، وفى مثل هذا السرور ، منذ موت بريتانيكس ···

ولما بلغوا حافة الشاطىء » أقبل نيرون على أمه يقبلها فى حنان مصطنع · ثم قادها الى المركب وتحول الى ربانه قائلا :

ــ اننى أعهد بأمى الى رعايتك ياانيستس · ولن أشفق عن أن أطيح رأسك اذا مسها أى سوء ···

ووقفت أجريبينا تلوح لابنها حتى ابتعدت السفينة عن الشاطىء · فأوت الى مخدعها ·· غير انها لم تكد تضطجع بين الوسائد الوثيرة · حتى انزاحت احدى الستائر · وبرزت من خلفها فتاة شاحبة اللون مرتجفة الاوصال · القت بنفسها عند قدمى أم نيرون هاتفة :

ــ أماه ! ··· أنقذينى ! ··

وبهتت أجريبينا اذ عرفت فى الفتـــاة تلك الاغريقية الحسناء · التى حملها ابنها من كورنثة فمدت يدها وانهضتها قائلة :

ــ آكتيه ! ·· أأنت على ظهر سفينتى حقا ؟ ··· وممن تسأليننى أن أنقذك · ولك من القوة والســـلطان ما أعاد الى

صداقة ابني ووده ؟ .

ـ منه .. من نفسي .. من حبي . من البلاط الذى يبعث الفزع فى أعماقى .. من هذه الحيــاة الغريبة الجديدة على .. لعلك لاحظت اننى اختفيت أثناء المأدبة دون أن اعتذر الى الامبراطور فهل كنت ترين في وسعي أن أمكث وسط هذا العبث الذى تتضرج لفرطه وجنات كاهنات فينوس خجلا ؟ .. أما سمعت أغانيهم يا أماه ؟ .. أو مارايت المحظيات والجوارى العاريات يرقصن فتثير كل حركة منهن أدنأ مشاعر الرجال .. لم اطق رؤية هذه المخازى . ففررت الى الحديقة . فاذا بهــا باب أفضى بى الى البحر . فرأيت السفينة وعرفتها . وأوهمت الحراس انى من حاشيتك . واننى أمرت ان أبقى عليهــا فى انتظارك .. وبين الملاحين والجنود نعمت بجو أنقى وأصفى مما كنت استنشق وأنا بين نيرون ونخبـــة نبلاء روما .. لست أبغى سوى أن تؤوينى فى قصرك المطل على بحيرة لوكرين ولو كخادم أو جارية ، وان تتيحى لى نقابا يستر خجلى وما أحس به من أستحياء ..

ـ اذن ، الا تبغين أن ترى الامبراطور مرة أخرى ؟ .. أتحبين أن تهجريه فيتداعى وســــط هذه المباذل العابثــة الصاخبة ، تداعى السفينة وسط الامواج العاتية ! ..

ـ أواه ، يا أماه ! .. لو لم أكن متيمة فى حبــه ، لراجعت نفسى وبقيت معه ، ولكننى أوقن انك تربئين بى عن ان أراه يضفى حبه على تلك الخليعات ويساويهن بى .. اننى لو بقيت بين الاشرار فلن البث أن أعدو شريرة .. لو اننى مكثت وسط تلك الماجنات لجاريتهن فى المجــون ، ولسعيت مثلهن بالدس والوشاية ، ولســـاهمت معهن فى تدابيرهن ومؤامراتهن ..

وأمسكت فجأة اذ رأت اجريبينا تنعم النظر خلال نافذة قمرتها ، ثم تصيح فجأة داعية أحد خدمها ، قائلة له :

مالى أرى السفينة تسعى الى عرض البحر بدلا من أن تتجه صوب قصرى القائم عنــــد بحيرة لوكرين ؟ .. ادع انيستس الى .

ولكن الخادم عاد بعد لحظات كان القلق خلالها يفرى كبدها فقال : ان انيستس يرفض ان يطيع أوامرك ، وقد دعا رجاله ان ينزلوا الزوارق الى الماء .

وقفزت من مضجعها مغضبة تسعى اليه ، ولكنها فوجئت بسقف الحجرة ينهار ، فصرخت والقت بنفسهـــا بين ذراعى آكتيه .. وأيقنت المرأتان بالهلاك .. وتصاعدت الصيحات والصرخات من كل صوب .. وزلزلت السفينة تحـــت أقدام اجريبينا وآكتيه . واندفع المــاء خلال الثغرات يطغى فيغرق السطح ..

وادركت اجريبينا ان الموت قد أحاط بها من كل مكان ، فلم تتردد في أن تلقى بنفسها الى البحر داعية آكتيه أن تحذو حذوها ، فما ان فعلتا ، حتى رأتا السفينة تغوص هابطة الى القاع .. وغاصتا فى الماء وهلة خالتاها عاما ثم ارتفعتا الى السطح ثانيــة . فاذا القوارب تسعى بالرجال ، واذا برأس يبرز من تحت الماء فيصيح : « النجدة !.. أنا اجريبينا !.. أنا أم القيصر ! » .

وكادت آكتيه تفعل مثلها ، لولا أن رأت أحد المجذفين يرفع مجذافه فيهوى به على الرأس حتى أرسله وصاحبته — التى لم تكن سوى جارية كذبت فى سبيل النجاة — الى قاع البحر .. فغطست آكتيه واجريبينا مرة أخرى تحت الماء ، ريثما ابتعدت القوارب .

وأخذت أم القيصر وخليلته تسبحان نحو الشاطىء فى صمت ، بينما اسرع انيسبتس فى زورق نحو « باولى » يكاد يطير غبطة ، اذ ظن أن المهمة التى اناطها به مولاه قد تمت على خير أداء ..

وكان الشاطىء بعيدا .. ووجدت آكتيه واجريبينا نفسيهما بعد أن جهدنا فى السباحة نصف ساعة ، لا تزالان بمنأى عنه بما يزيد على الميل .. وكانت كتف اجريبينا قد أصيبت بجرح بالغ لم تفطن اليه فى بادىء الامر ، ولكنها سرعان ما استشعرت وخزه ، حين هد التعب قواها . وأدركت آكتيه ما أصابها من اعياء ، فاقتربت منها ، وتناولت ذراعها ، فاسندتها الى كتفها .. ومضت تسبح وهى تجرها جرا ، رغم الحاح هذه فى نصحها ان تدعها وتنجو بنفسها .

***

فى تلك الاثناء ، كان نيرون قد عاد الى قصر « باولى » فاستأنف العبث فى الحفلة الصاخبة الماجنة ، التى كان قد أقامها فى ذلك المساء .. ولكن ضجيج اللاهين لم يستطع أن يطغى على هواجسه فكان يرتجف من حين لآخر ، ويحس بالعرق يفصد من جبينه .. ويخال أنه يسمع آخر صرخات أمه وهى تغرق ..

وبعد ساعتين .. أقبل عبد همس فى أذنه كلمات لم يسمعها سواه .. فألقى القيثارة من يده ، وشحب لونه .. ثم اندفع مغادرا قاعة المأدبة .. تاركا خلفه فزعا سرى الى قلوب الحاضرين .. فما كان أحد منهم يحدس شيئا من الاحداث الرهيبة .. أو يعرف الخطة الفظيعة التى كان الامبراطور قد دبرها .. وأطرق الكل صامتين .. بينما أوى

نيرون الى مخدعه • وارسل في طلب انيستس • فما أقبل حتى بادره قائلا :

ـ لم قلت لى أنها غرقت •• وقد اتانى منذ لحظات رسول منها ؟ •

ـ بل اننى رأيتها بين طيات الموج •• ورأيت مجداف أحد الرجال يهوى على رأسها حتى هشمه وارسلها الى قاع اليم ••

ـ اخطأت •• فما المقتولة غير احدى جواريها •• أما هى فقد نجت •• كما أكد خادمها ••

ـ وما الذى يعتزمه مولاى ؟

ـ اذا كنت واثقا من أن فى مكنتى الاعتماد عليك •• فاختبىء فى الغرفة المجاورة •• حتى اذا صرخت أطلب النجدة •• فتعال واقبض على رسولها •• وازعم انك وجدته يشهر خنجرا أو سيفا يريد قتلى ••

واذا خلا نيرون الى نفسه •• دعا برسول اجريبينا أن يقاد اليه •• وراح ينصت اليه وهو يقص عليه نبأ غرق السفينة •• وكيف راحت اجريبينا تسبح جاهدة حتى اذا أخذ التعب منها كل مأخذ •• وأوشكت ان تستسلم للامواج •• وقد خبا فى صدرها كل بصيص للامل ، مربها قارب صيد انقذها وحملها الى قصر بحيرة لوكرين ، فما بلغت القصر حتى بادرت بازجاء النبأ الى ابنها تطمئنه ، وتدعوه الى زيارتها •

وانصت نيرون متظاهرا بالجزع والهلع ، الى أن أتى الرسول على نهاية القصة •• وفى حركة خاطفة ، القى نيرون سيفا بين قدمى الرسول ، على حين غرة ، وفى مفاجأة اربكت الرجل والجمت لسانه •• وأطلق نيرون صراخه يطلب النجدة ،

فأقبل انيستس ورئيس الحرس ، والقيا القبض على رسول اجريبينا الذى غمره الذهول ، فلم يحر حراكا ..

وانطلقت الالسنة فى ارجاء القصر تشيع ان اجريبينا دبرت مكيدة لقتل الامبراطور ، فأرسلت له رسولا انتهز فرصة انفراده به ، فأوشك ان يقتـــله ، لولا رعاية الآلهة للقيصر المقدس ..

أما ما حدث لاجريبينا ، فلم يعد ما قصه الرسول ، وان اسقطت اجريبينا عمداً من رسالتهـا بعض حوادث .. فلم تذكر ان آكتيه كانت معها ، حتى صادفها زورق الصياد ، ففضلت أن تعهد اليه بأم الامبراطور ؛ وســـعت هى الى الشاطىء ، حتى لا يكشف احد ما كان من أمرهمـــا معا ، وما كان بينهما من صلة .. واتجهت آكتيه الى الشــاطىء المقابل لمرفأ باولى ، بينما سألت اجريبينا الصياد أن يتجه صوب المرفأ نفسه ..

وكان أنيستس فى عودته ؛ قد نشر نبأ غرق المركب وفيه أم القيصر .. متظـــاهرا بالحزن والهلع فأخذت وفود الناس تتقاطر على الشاطىء .. وأثار الحادث ضجة وصخبا .. فلما بلغ القارب المرفأ وهبطت منه اجريبينـــا . ذهل القوم برهة .. ثم هرعوا يستقبلونها فى عاصفة من الفرح الصادق الخالص .. ولكنها لم تشأ ان تبقى طويلا .. بل أمرت ان تحمل توا الى قصرها .. فاعتكفت فى مخدعها .. واستدعت خير خدمها وأكثرهم ولاء لها .. فأرسلته الى ابنها ..

واستسلمت بعد ذلك للهواجس .. حتى فطنت الى أن جلبة الجموع التى كانت تتجمهر حول القصر قد خفتت فجأة وساد الكون صمت ساج ملىء بالرهبة والتوجس .. وان هى

الا لحظات حتى سمعت بوقا ينذر بمقدم ثلة من الجنود ·· لم تلبث أن سمعت خطواتهـــم فى الطريق ·· ثم فى ردهات قصرها ·· ثم ·· عند باب مخدعهـــا ·· ودفع الباب فى عنف ·· ودخل منه انيستس ·· فأدركت ما فى الامر ·· وحدست أن ابنها أرســله لشر لا محيص عنه ·· وتلفتت حولها ·· ولكنهــا لم تر للفرار منفذا ·· فاســتجمعت كل شجاعتها · وصاحت فيه :

اذا كنت موفدا من ابنى لتسأل عن حالى ·· فقل له اننى أفقت من الصـــدمة التى أصابتنى اثر الحادث ·· وان كنت قادما تبغى شرا ·· فعجل به ··

ولم يجب ·· بل جرد سيفه من غمده ·· وسار نحو سريرها ·· فندت عن جسدها الغطـاء وهتفت به : « مزق أحشائى ·· مزق أحشائى ! » ··

وأجاب انيستس رغبتها ·· فمزق الاحشاء التى حملت يوما الابن العاق الذى دبر قتلها ·

***

أما آكتيه ·· فقد مضت تسبح نحو الشاطىء ــ بعد أن استقلت اجريبينا قارب الصياد ــ ولكنها حين اقتربت من البر · رأت جموع الاهالى الذين استثارهم نبأ غرق اجريبينا ثم اذهلهم ظهورها على قيد الحيـــاة ·· وخشيت آكتيه ان يكشف أحد من أولئك القوم حقيقتها ·· فقصدت ناحيـــة منعزلة مهجورة ·· ولكنها كانت كلما اقتربت منها ·· أحست بالخور يطغى عليها ·· وثقل رأسها واشتد بها الدوار · حتى أشرفت على الضياع ·· فهمت ان تصرخ تطلب النجدة لولا أن ملاء الماء فمهــا وتسرب الى حلقها ·· وفى لحظة اليأس ·

عن لها أن تبذل آخر جهدها ٠٠ كى لا تغطس تحت الماء ، فلما فعلت ، لمحت البر على مقربة منها ، فابتهجت ، وناضلت ساعية اليه ، رغم ماشعرت به من نصب كان يثقل حركتها ، ويشل اطرافها ٠٠

وظنت انها هالكة لامحالة ٠٠ وراودت ذهنها الذكريات الحبيبة ٠٠ وتمثلت لها صورة نيرون مستغرقا فى العزف على قيثارته ، بينما كانت تدنو من قبضة الموت حثيثا ٠٠ وعادت ترسل بصرها الى الشاطىء ٠٠ فلاح لها شبح رجل عجوز ٠٠ تحيط برأسه هالة من نور ٠٠ وهاجمتها موجة فصرخت فى اعياء وقنوط ٠٠ فاذا بصرخة تجاوبها ٠٠ ثم مرت الموجة بسلام ٠٠ وعادت تطفو على وجه الماء ٠٠ فرأت الشيخ يشير اليها ان تشجعى وكافحى وتعالى ٠٠

وبحافز من حب الحياة . . جاهدت من جديد . . وواتتها قوة خارقة ٠٠ فاندفعت نحو صخرة بارزة عند الشاطىء ٠٠ ثم تولاها الم قاس ٠٠ وفقدت رشدها ٠٠

وكان الليل لايزال عاقدا ألويته على الكون حين استفاقت، فرأت انها مدثرة بعباءة ٠٠ والى جوارها رجل ركع عند رأسها ٠٠ وأقبل يقطر الماء فى فمها ٠٠ وعجبت اذ تبينت فيه الشيخ العجوز الذى لاح لها عند الشاطىء فى ساعة اليأس ٠٠ واطمأن قلبها لوجهه الصبوح وملامحه الهادئة الوديعة ٠٠ فغمغمت وكأنها فى حلم :

ـ اواه ياابت ! ٠٠ لقد دعوتنى فشجعنى نداؤك ٠٠ لقد انقذت حياتى ٠٠ فقل لى اسمك حتى استمطر البركات عليك ٠٠

ـ اننى أدعى بولس ٠٠

ـ ومن تكون ؟

ـ من تلاميذ المسيح

ـ لست افهمك .. ولكنني ، على كل حال ، اثق فيك ثقتي في ابي . فقدني حيثما شئت فنهض الشيخ وسار . وهي في اثره ..

الفصل السابع

قضى نيرون بقية ليله مسـهدا قلقا ، يخشى أن يكون أنيستس قد أخفق في مهمته ، أو أن تكون اجريبينا قـد اشتمت رائحة الخطر المحدق بها ، ففرت قبل ان يبلغ أنيستس قصرها ..

على انه لم يكد يتلقى انيستس عند عودته ، حتى خيل اليه ان الآلهة قدعوضته عن هواجسهومخاوفه وأرقه خيرا ..
ولاول مرة شعر انه الحاكم بأمره بحق ، وانه مدين بذلك لانيستس ..

وبادر لتوه الى تدبير الاجراءات التى تمحو أية شـبهات تحوم حول مصرع أمه .. وانحصرت خطته في أن ينشر على الملا أن اجريبينا حاولت قتله لتسيطر على العرش وتخضـع الامبراطورية لحكم امرأة ، ولكن مؤامرتها فضحت ، فخشيت أن يعرض الامر على مجلس الشيوخ ، فيوقع عليها القصاص ، ومن ثم آثرت الانتحار ، فطعنت احشاءها بسيف .. واستغل حادث غرق السفينة .. وهو الحادث الـذى كان قد دبره للخلاص من أمه ـ فزعم أنه كان نذيرا من الآلة لاجريبينا كي ترجع عن نواياها الخبيثة ، فلم تتعظ ..

وحرص نيرون على أن يلعب دوره بمهارة حتى لاينكشف، فاعلن الحداد ، وتظاهر باللوعة المفرطة ، والاسى البالغ ·· وقصد فى رفقة حاشيته الى قصرها ليودعها الوداع الاخير · وعلى وجهه حزن زائف ، واكتئاب مصطنع ·· ولكنه حين وقف امام مضجعها ·· والقى نظرة على جثتها المسجاة ·· التفت الى سبورس ـ وكان الوحيد الذى رافقه داخل المخدع ـ فقال فى خبث ماكر دون ان يرعى ماللموت من حرمة :

ـ ماكنت احسب أنها كانت على هذا القدر من الجمال !·

وأقبل الصباح ·· وانتشر نبأ موت اجريبينا فتدفقت الجماهير على قصرها ·· وبث رجال القيصر اشاعة محاولتها الاعتداء على ابنها لانتزاع الملك منه ، فاثارت لغطا وضجة بين القوم ·

ولكن شيئا من هذا كله لم يصل الى المأوى الـــذى قاد بولس اليه آكتيه ·· وكان هذا المأوى بيتا صغيرا فى أحقر أحياء روما ، يسكنه صـــائد سمك مع اسرته ·· فما بلغته آكتيه ، حتى أفرد لها فى احدى حجراته فراشا ·· تهالكت عليه خائرة القوى ، وراحت فى سبات عميق ، والشيخ ساهر بجوارها ·· فلما استيقظت ·· دهمتها الذكريات المريرة ، غير ان عينيها وقعتا على وجه الشيخ الصبوح ·· فانتزعت دياجير الهموم ابتسامة ، وتطلعت اليه

وسألها في اشفاق : اتعانين ألما ؟

فأجابته في جوى : بل آكتوى بالحب ·· لســـت أبغى سوى مكان قصى أنتبذ الناس فيه وأخلو الى همومى ودموعى ·

وانتظر حتى هبط الليل التالى ، فأمر العجوز صـــاحب البيت أن يقيم اشارة اتفقا عليها ·· فسرعان ما أقبل رجل من

(نيسيلنا) يسعى ، فتقدم من بولس يحييه فى احترام بالغ، وانحنى أمامه يتلقى بركاته ..

وباركه بولس ثم أزجى اليه بتعليماته ، فانطلق بولس وآكتيه فى أثره ، وقد دهشت الفتاة لما يلقاه الشيخ من تجلة واحترام ، كما لو كان ملكا ذا سلطان .. ولكن أى سلطان ؟

كانت اقامتها القصيرة فى بلاط نيرون قد أطلعتها على الملك المقام على القسوة والبطش ، وأرتها كيف يعتمد السلطان على القوة والجبروت .. أما نفوذ بولس ـ كما شاهدته فى النطاق الضيق المحصور فى الاسرة التى كانت فى ضيافتها ـ فكان من نوع آخر .. كان يتلقى الاحترام فى تواضع وكان يتلقى الطاعة عن تطوع ورضا ممن يقدمها . لاعن صدوع بأمر لامحيص عن تنفيذه ..

واذ استبدت بها الحيرة سألته : من أنت يامن يطيعك الكل دون خوف او رهبة ؟ .

ـ قلت لك يافتاتى اننى تلميذ المسيح .. لست ممن يعتمدون على القوة والجبروت .. لست أستعبد الناس .. بل اننى جئت أدعوهم الى ان يكونوا أحرارا ..

ـ لست أفهمك وان كنت تتكلم اليونانية كما لو كنت من أبنائها ..

ـ انما عشت ستة أشهر فى أثينا .. وعاما ونصف فى كورنثه .. كان ذلك منذ خمس سنوات وقـــد احترفت فى كورنثه عمل الخيام للجنود والرحالة .. حتى الا أكون عالة على مضيفى وكنت كل يـــوم سبت أعظ الناس .. وأدعوهم الى تعاليم الكتاب المقدس ..

وهتفت آكتيه : آه .. لقد تذكرت . أما قلت لك اننى من بنات كورنثه ؟ ... الم تكن ذاك الـــذى اتهمه اليهود لدى

جاليو ‥ حاكم (أخايا) ؟ ‥ لقد أشار اليك أبى وأنت تمر ببابنا بين الحراس ‥ وقال لى : « انظرى يا ابنتى ! ‥ هاهو ذا رجل صالح يمضى من بيننا ! »

ـ وكيف تسنى أن تتركى أباك وتأتى الى هذه البلاد ‥ فاعثر عليك وأنت موشكة على الغرق ؟ قصى على أمرك يابنيتى ‥ وانتظرى حتى أعترف لك بجرائمى فتقيسى بها خطاياك ‥ أجل ‥ ان لى جرائم ‥ وقد تبت وأنبت ‥ وأرجو أن يكون الله قد غفر لى ‥ سأحدثك بما لم تحيطى به من قبل خبرا ‥ عسى أن تذكرى قصتى يوم تعرفين ذاك الذى سأخبرك عنه ‥ فتؤمنى به وتعبديه

ومضى بولس يقص عليها قصة مولد المسيح عليه السلام وكيف بعث بالرسالة الالهية ‥ فكان بولس من الكافرين به ‥ الناقمين عليه ‥ المضطهدين له ‥ حتى رأى بعينيه بعض آيات المسيح ومعجزاته ‥ وشهد كيف اجتذبت هذه المعجزات وتلك الآيات الكثيرين الى الايمان بدعوته فلم يزده ذلك الا اندفاعا فى عدائه له ‥ فلما وقع المسيح فى يدى بيلاطس الذى جمع شيوخ اليهود واستشارهم فى امره ‥ فأشاروا بقتله ‥ كان بولس بين من صاحوا يطالبون بصلبه ‥ وظل يرقب القوم وهم يثبتون المسامير فى راحتى المسيح وقدميه ‥ فسمع بأذنيه صيحته ينادى الله ‥ فخيل اليه ان الارض ارتجت لهذه الصيحة ‥ على انذلك لم يزده الا امعانافى مقت المسيح وتلاميذه اذ كان أعمى القلب اصمه ‥ وشــام فيه قساوسة اليهود هذه العداوة فأوفدوه الى سوريا ليقاوم الدعوة المسيحية هناك . غير انه لم يكد يبلغ قمة الجبل المشرف على دمشق ‥ حتى ومض ضوء باهر من السماء ‥ فانكفأ على الارض كالميت ‥ واذ ذاك سمع صوتا يناديه :

ـ لم حكمت على بالصلب ياشاول ـ انا عيسى أناديك .. ولسوف اكرسك لنشر رســـالتى التى كنت تسعى لقمعها والقضاء عليها

وأصيب بالعمى ثلاثة أيام قضاها دون أكل أو شرب .. حتى أتاه انانياس .. فمسح على عينيه فاذا بصره يرتد اليه .. ومنذ ذاك اليوم .. وقف بولس حياته على نشر دعـــوة المسيح .. وعلى التكفير عن ذنوبه وخطاياه

وهتفت آكتيه حين فرغ بولس من قصته : أواه ياأبتاه! .. لقد قصصت على قصتك .. فاستمع الى قصتى .. انها لقصيرة .. وان كانت رهيبة .. انني عشيقة القيصر ؟

ـ ليست هذه سوى خطيئة يا ابنتى

ـ ولكننى أحبه .. أحبه بكل مافى قلبى من عاطفة .. أحبه حبا لم يعرفه بشر فى الارض .. أو اله فى السماء

فغمغم الرجل فى أسى : وا أسفاه ! .. هذا هو الجرم !

وركع فى ركن من الكوخ الذى كانا فيه .. يصلى من أجلها !

الفصل الثامن

عندما حل المساء التالى .. تأهب بولس للرحيـــل مرة أخرى .. فتبعته آكتيه فى صمت .. لاتأبه أين يقودها .. ولا يشقيها ان تعرف اين ينتهى بهـــا المطاف .. كان بعد الاهوال التى رأتها لاتهتم الا بالفرار بعيدا عن نيرون .. بعيدا عن الرجل الذى استولى على قلبها .. فاستبد فى سلطانه عليها .. فقد كانت تحس أن هذا الحب سيفضى بها الى الدمار والضياع فى غمرة الحياة المحمومة التى يعيشها .. كان عجيبا أنها حتى

تلك اللحظة التى لم تهب حبهـــا الا للوشيس وحده ..
لا لنيرون وأنها حتى ذاك الاوان كانت ترى فتاها البطل المظفر شخصا آخر غير الامبراطور .. وكانت واثقة من حبهـــا للوشيس ، خائفة متوجسة من حب نيرون لها ، وكأنما هـو غريم يريد أن ينتزعها من حبيبها !

وعندما أوفت الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل ، أوى بها بولس الى باب بيت يقوم وسط حقل نضير ، ومرة أخرى ، رأت آيات التبجيل والطاعة تقـدم لبولس فى غير اكراه ، ورأت مدى تعلق المسـيحيين بدينهم ، وايمـانهم بربهم فسرى عن نفسهـا ماكان يوحى اليها من أبيهـا وعشيرتها عن المسيحيين من آراء سيئة .

وعاودا رحلتهما فى المساء التالى . فأويا هـذه المرة الى كوخ عبد يعمل فى ضيعة غنى واسـع النفوذ ، وهفا بقلب آكتيه ما رأته من محبة يبديها ذلك العبد لتلميذ النبى الذى لبى دعوته ، وأدهشها أن تجـد المسكين ينزل عن رغيف لبولس وهو أحوج ما يكون اليه ، ولكنهما ما كادا يشرعان فى اقتسام الرغيف ، حتى سمعت آكتيه نحيبا يتصاعد من خلف باب يفضى الى حجرة أخرى فى الـكوخ ، فنبهت اليه بولس فأجابها .

ــ اننى أسمعه يا ابنتى ، ولكن الذى أرسل هذه الدموع كفيل بأن يدخل الراحة والطمأنينة على القلب الذى سكب آلامه فى ذويها .

وأقبل العبد صاحب الكوخ ، فجلس فى ركن ، ودفن وجهه فى راحتيه ، وانطلق بدوره يبكى ، وقال بولس ، اذ توسلت اليه آكتيه أن يرفه عن المتعوس :

ــ انما ينقصه الايمان يا فتاتى :

فصاح الرجل : وكيف تريدنى على أن أومن وما كانت حياتى يوما سوى أحزان متواصلة . ما كنت سوى عبد ، ابن عبد ، فلما استشعرت لحظة لذة الحياة أو هناءتها ، لم يكن من نصيبى سوى النصب والوصب ، حتى اذا خطر لى أن ارتاح ، وجدت السياط تنهال على جسدى تستحثنى لمواصلة التعب ، دون أن أكافأ لقاء ما أعانى .. بما يكفل قوتى وقوت زوجتى وطفلى المسكين الذى حلت به نقمة السماء .. فولد مشوه الخلقة ملتوى الاطراف..وكأنما شاء القدر أن يمعن فى النكاية .. فاتخذ من بلواه هذه سببا يغرى أحد أغنياء روما ـ ممن يستطيبون الاتجار فى النفوس الحية ـ على أن يشتريه من مولاى ومولاه ولسوف نسلم المسكين غدا على كره منا .. أرأيت .. حتى شقاؤنامحسوب علينا .. لالنا ..

ـ وهب أن الله أبرأ ابنك من عاهاته ؟ .

ـ انه ينجو فى هذه الحال من أن يباع كسلعة .. فما حفز ذاك الثرى الى ابتياعه سوى ما إبتلى به من خلقة مشوهة .

وسار بولس الى الحجرة الاخرى .. فاذا بطفل مشوه كالضفدع يرقد فى أحد أركانها . والى جواره امرأة تمثلت فى مظهرها كل معالم البؤس واليأس .. فتقدم بولس من مضجع الولد .. وركع رافعا رأسه الىالسماء .. وقد تجلت على أساريره آيات الايمان القوى الوطيد .. ومضى يصلى فى حرارة ويقين .. ثم مسح بيده على الطفل قائلا وقد انبلجت أساريره .. وغمره نور الهى :

ـ قم وتكلم باسم الاله الحى .. خالق السموات والارض .

فنهض الطفل هاتفا : تبارك اسمك ياإلهي الجلال .
وقفزت الأم صارخة..وهوى الاب على ركبتيه خاشعا .

وانسحب بولس من الحجرة هامسا لآكتيه : ها هي ذى أسرة من العبيد يغبطها أى امبراطور على ما أصابها من هنـــاء ! .

وواصلا الرحلة عندما أرخى الليل سدوله .. وآكتيه لا تزال منساقة وراء الشيخ العجوز..مسلمة اليه قيادها . لا تحفل بسؤاله عن وجهته ومقصده .

وهكذا صارت آكتيه دون ان تعى .. فى نفس الطريق التى رافقت فيها نيرون عند عودته من كورنثه مظفرا ومرت بفوندى التى أحتفى عندها (جالبا) بنيرون وبالغ فى اكرامه فكان جزاؤه أن سعى نيرون عندما بلغ روما الى اقصائه عن ايطاليا كلهـا .. فعهد اليه بمنصب الحاكم فى اسبانيا .. وما درى أن تلهف (جالبا) العجوز على أن يكون بعيــدا عن قبضة الامبراطور الغادر كان يفوق أضعافا لهفة نيرون على ابعاده ليـأمن وجود أى مزاحم يخشى خطره . وليطمئن الى ثبات عرشه تحته .

كم من احداث وقعت مذ مرت آكتيـه مع نيرون للمرة الاولى .. خلال هذه الطريق ! .

وامتدت الرحلة لثلاثة أيام أخرى وثلاث ليال .. كانا يسريان فيها كلما هبط الظلام .. ويأويان اذا اقترب الفجر الى بيت أحد المسيحيين فيتخذانه مخبأ حتى الليلة التالية .. وعلى ضوء القمر فى الليلة الاخيرة ــ أشار العبد الذى كان يتقدمهما ــ ويدعى سيلاس ــ الى أنوار كانت تبدو عنـــد

حافة الافق ٠٠ وهتفت :

ـ ها هى ذى روما ٠٠ خاتمة مطافنا !

فهبط بولس الى الارض راكعا ٠٠ يقدم الشكر لله ٠٠ بينما استندت آكتيه الى قبر قريب تتفادى الوقوع ٠٠ وغشيها حزن مرير ٠٠ اذ رأت هذه الرحلة الشاقة المضنية ٠٠ تفضي بها أخيرا الى المكان الوحيد الذى ما كان ينبغى لها أن تطأ أرضه ٠

فصارحت الشيخ بأمرها ٠٠ فقال وهو ينهض ويتأهب لمتابعة الرحيل : ما الى روما نقصد فلا تخافى ولا تحزنى !

وبعد أن سارا ساعتين خلف سيلاس ٠٠ تحول هذا يقودهما بين طبقات من الصخور المبعثرة كأنها بقايا جبل انهار أثر زلزال عنيف ٠٠ ثم هبط فى ثغرة كفتحة الكهف ٠٠ وارتجفت آكتيه وترددت ٠٠ وسرت فى جسدها قشعريرة ٠٠ وكأنما هى مقبلة على فم مفغور ٠٠ لوحش مفترس ومدت يدها ٠٠ فأمسكت بذراع بولس ٠٠ ولكنه هتف بها :

ـ لاتخشى شرا يا ابنتى ٠٠ فالله معنا ٠

وتنهدت وسارت معه الى الثغرة المظلمة ٠٠ متعثرا فى مدخلها ثم تقدما على هدى صوت سيلاس بين أعمدة قائمة من الحجر ٠٠ لم يلبث سيلاس أن أوقد مشعلا ٠

وقال : لاخوف علينا الآن ٠٠ ولو أن كل جنود نيرون انطلقوا فى آثارنا يبحثون عنا ٠٠ لما استطاعوا أن يعثروا علينا ٠

ولم تتبين آكتيه فى بادىء الامر شيئا مما حولها ٠٠ ولكن عينيها لم تلبثا أن اعتادتا وهج المشعل ٠٠ فاذا هم يسيرون أحيانا فى ممر ضيق ٠٠ بين جدارين من الصخر

الاصم ·· واذا هم أحيانا أخرى يقبلون على فسـحات فى الكهف تناثرت فى جنباتها الاحجار وتخللتها الاعمدة العالية وكان كل ما حولهم صامتا صمت الموت ·· وغشى قلب آكتيـه شعور من الرهبة والوجوم ·· ثم سمعت هى ورفيقاها فجأة أنغاما موسيقية تسرى الى آذانهم فى سكون الكهف ·· ولمحوا مصابيح أقيمت هنا وهنـاك ·· وأبصرت آكتيه توابيت متراصة ·· فارتجفت هلعا · ·· وأمسكت بذراع بولس تطمئن ··

غير ان الطريق مالبثت ان خلت من التوابيت ·· ولاحت لهم ساحة وكأنما هم فى شبه مدينة تحت الارض ــ وأشباح متشحة بالبياض · تنشد وتغنى على وقع الانغام ·· وبدأوا يرون الزهور والاكاليل متناثرة على جنبات الطريق ··

وبعد أن ضربوا طويلا فى منعرجات تلك الطريق الممتدة تحت الارض ، انتهوا الى تلك الساحة · المنيرة · فاذا جمع من الرجال والنساء والاطفال يحتشدون فيها تحت أضـواء المشاعل والمصابيح · وقد أخذوا ينشدون فى نغمات هادئة وادعة وهم ركوع خلف قس لم يلبث ان نهض وتقدم الى مذبح أعد فى الصدر · فما بلغه حتى التفت للقوم قائلا فى خشوع واجلال :

ــ بيننا الآن من هو أجدر منى بأن يفضى اليكم بكلمة الله . لانه سمعها من المسيح نفسه .. تقدم يابولس وبارك اخوتك ·

وتقدم بولس من المذبح يبارك أنصـار دينه الذين اجتمعوا لهـذه المناسبة أثر وعد قطعة على نفسه أن يزورهم فى مدينتهم التى اتخذوها تحت الارض فرارا من طغيـان

السلطات التي كانت تضطهد الدعوة المسيحية في بدء عهدها .

وركعت آكتيه مع الراكعـــين ـ في غير وعي منهـا ـ وأجالت بصرها فيما حولها • فتبينت أن هـــذه المدينة لم تكن سوى •• مقبرة روما القديمة التي أقيمـــت في جوف الارض • في المحاجر التي خلت بعد أن اقتلعت احجارهـــا لتستخدم في اقامة صروح روما ! ••

***

كانت روما اذ ذاك في مرحلة من تلك المراحـل التي لابد لكل كائن ـ بشرا كان أو أمة ـ أن يمر بها في حياته ••• مرحلة قلقة مضطربة • يودع فيها ماضيا آن له أن يندثر ، ويتأهب لمستقبل لايزال غامضا . دون أن يدري شيئا من أمره .

كانت روما تشعر في تلك الاثناء بما تشعر بها الحامل جاءها المخاض على غير توقع أو ارتقاب فتولتهـــا الحمى • وعدمت الراحة والهدوء •• فقد نبتت في أحشائهـــا بذرة حضارة جديدة ، ونما في جوفهـــا دين جديد كان انصاره ومعتنقوه يتعهدونه ويباشرونه تحت أرض المدينة • دون أن يشعر الاحياء الذين فوقها بما يجري •• فكانت مقبرة روما القديمة ـ مهد الدين الجديد ـ وكانت كهوفها المهجورة حتى قيام المسيحية ، الا من الفارين من وجه السلطات ، معبدا ثم ملجأ • ثم مدينـــة لاولئك الذين اعتنقوا الدين • فانطلقت السلطات تطاردهم وتسومهم الخسف والاضطهاد ••

على أن المسيحيين المضطهدين لم يقتصروا على الأنسحاب من وجه الاضطهاد ، واللجوء الى المقبرة القديمة بل أنهم كانوا يمدون ايدي المســـاعدة لاخوانهم الذين يقع عليهم الخسف

والعذاب ، فينقـــذون منهم من لم يحل به بعـــد العقاب ، أو يتسللون خفية فى الظلام فيحملون جثث من أعدموا منهم الى حيث يوارونها التراب • حتى لا تنهشها حشرات الارض • أو تفتك بها العقبان ••

وعاشت آكتيه وسط هؤلاء القوم الذين عمروا مدينة الموتى المهجورة • فرأت آيات محبتهم لبعضهم بعضا • وتبادلهم العطف والحنان • ماهفا بقلبها •• وكانت احزانها وشجونها تدهمها في بعض الاحيان ، فتنزوى فى ركن تعانى قســوة الصراع المحتدم فى أعماقها • لا يدرى من أمرها أحــد سوى بولس الذى يدعو بعض الفتيات الساذجات الطاهرات فيسألهن أن يصلين من أجلها عسى أن يرحمها الله ويهديهــا طريقه السوى •• وكأنما كان الله يستجيب لدعواتهن البريئة • فلا تلبث الدموع أن تنساب من عينى الاغريقية المتعوسة • فتكسر حدة الالم اللاعج ••

وبينما كان المسيحيون يعتصمون بمدينتهم القائمة تحت الارض • كانت ثمة أحداث تقع فى روما تنذر بالنهاية •• كانت دنيا الوثنية تترنح كثمل فقد وعيه • وكان نيرون يزداد اسرافا فى بذخه • ومجونه وخلاعته • ويمعن فى الجمع بين ملذاته • وشهواته •• ويتمادى فى البطش • وفى تدبير المؤامرات وفى سفك الدماء • والتخلص من كل من يخيـــل اليه ـ ولو عن وهم كاذب ـ انه قد ينتزع الملك من يده يوما •

على انه فى غمرة لهوه وعبثه • لم يخل من الهواجس التى راحت تبعث اليه الاشباح المخيفة • من دنيا الوهم • تهم به • وتحاول النيل منه • لاقدامه على قتل أمه •• فما عتم ان نزح عن روما فرارا من هذه الرؤيا • وأقام فى نابولى ••

والتقى هناك ببوبيه فراحت توغر صدره على أوكتافيا

المسكينة . التي انتزعتها اجريبينا من أحضان الزوج الذي تحبه . فزوجتها من نيرون ليؤول اليه الملك ، وأشهدتها مصرع أبيها وأخيها ليخلو السبيل بين نيرون والعرش .. ثم أسلمتها للشقاء والتعاسة . وهجرها نيرون الذي أبغضها اذ غصبته أمه على الزواج منها . فنبذها . بل وأقام حاشيتها عليها رقباء يحصون عليها حركاتها ويستغلون ضعفها ليدسوا لها .

وما كانت بوبيه لتقنع بأن تكون المقربة من نيرون . بينما كانت زوجته الشقيةمنبوذة مضطهدة . فقد كانت تدرك أن أهل روما يشفقون على أوكتافيا مما تلقاه من عنتوباساء ، فالتفت قلوبهم حولها ..

وتردد نيرون توجسا مما راحتتوسوس بوبيه اليه .. ومن الجرائم ما يجفل منها أقسى المجرمين قلبا . وأكثرهم عتوا وبطشا ، اذ لا يجد لها مبررا .. ولكن بوبيه كانت قد عقدت العزم على ان تستأثر بنيرون وملكه ،مهما كلفها ذلك من ثمن فسرعان ما دبرت مظاهرة زائفة ، سيرتفيها أعوانا مرتشين راحوا يهتفون مطالبين برأسها ، محطمين تماثيلها ..

وأخمد الحراس المظاهرة المدبرة . بينما هرعت هي الى نابولى تطلب الى الامبراطور ان يحميها ممن زعمت ان أوكتافيا أرسلتهم لقتلها ! ..

وهاجت ثائرة الامبراطور المأفون ، فأمر أوكتافيا ان تختار لها ميتة تنفذها بنفسها في نفسها . فلما توسلت اليه واستعطفته ، وعصتها قواها ، مثل بها أشنع تمثيل ، ثم فصل رأسها عن جسدها ؛ وقدمه الى بوبيه هدية ؛ فما كان من الغانية الفاجرة الا أن وضعتالرأس على ركبتيها ، ورفعت أجفانه بأصابعها .. وكأنما تبينت في عيني ضحيتها الميتة

نذيرا وتهديدا ، ففقأت العينين اللتين عميتا الى الابد عن نور الحيــــاة •

وعاد نيرون الى روما يواصل عبثه ومجونه ، حتى أحست بوبيه ان زمامه أوشــــك ان يفلت من يدها وانه اسرف فى فضائحه ، فشاءت ان تكبح جماحه ، وتذرعت بدعوى انها قد حملت منه جنينــا •• الى أن كان ذات يوم اذ أبتان تذهب الى المسرح فى حفل اقامه ليغنى فيه ، فأحس انها طعنت كرامته طعنة أثارت جنونه •• فانهال عليها ركلا •• حتى قضى عليها •• ثم أفاق الى نفسه •• فهاله ما فعل • وتولاه الحزن عليها وشيع جثمانها كما لم يشيع من قبل فى روما جثمان ••

وانقلب نيرون بعد ذلك يمعن فى اضطهاد المسيحيين •• ملقيا عليهم تبعة جرائمه •• فراح يعمــل فيهم يد التقتيل والتعذيب •• ثم فطن مرة الى ان جثث القتلى منهم لا تبقى فى مكانها لتمثل بها العقبان والجوارح زيادة فى النكاية وامعانا فى القسوة •• فغاظه هذا •• ورصد الحراس ليلا •• فمــا لبثو ان قبضوا على عصبة المسيحيين الذين كانوا يتسللون من مدينــة الموت تحت جنح الظلام ليحملوا جثث اخوانهـــم المستشهدين ويواروها التراب •• وكان على رأس العصبة • بولس ! •

وأقبل سيلاس ـ وكان الوحيد الذى نجا من الحراس ـ يحمل النبأ الى المقيمين تحت الارض فركعوا يصلــون لله كى ينقذ بولس واخوانه •• ولكن آكتيه بقيت جامدة فى مكانها فهى رغم طول مقامها بين المسيحيين •• وفى رعاية بولس •• لم تشأ ان تستبدل بعقيدة أجدادها عقيدة أخرى ••

وانحنى عليها البعض باللائمة •• ظنا منهم انها لم تتأثر

لمصير بولس ·· ولكنها هتفت فى عزيمة صادقة :

ـ سأذهب الى روما غدا ·· واسعى جهدى لانقاذه ·

فقال سيلاس :

ـ واذا أخفقت فسـأعود اليه والحق به فى سجنه لاموت معه ·

الفصل التاسع

غادرت آكتيه مدينة الموتى فى الصباح التالى ·· متشحة بملاءة أخفت كل معالمها ·· متمنطقة بخنجر ·· ساعية خلال النواحى المهجورة من الطريق المفضية الى روما ·· وقدعقدت عزمها على أن تبذل قصارى وسعها فى انقاذ بولس أو تسعى الى زيارته فتدفع اليه بالخنجر ·· جاهلة ان أولئـك الذين اعتنقوا المسيحية فى بدايتها كانوا يستطيعون الاستشهاد فى سبيل عقيدتهم ·

واذا أشرفت على روما تسارعت نبضات قلبهـا ·· وتخاذلت سـاقاها ·· وتولاها انفعال طاغ ·· وراحت تفكر فيما سيكون بينها وبين حبيبها الذى لم تره منذ الليلة التى تسللت فيها الى سفينة أجريبينا ·· وكادت تغرق معها ·

وتساءلت فى نفسها ·· ترى هل ستجد فيه لوشيس الحبيب ·· أو نيرون الرهيب ؟ ·· وخيل اليها انهـا كانت شبه ميتة خلال المدة التى أقامتها فى مدينة الموتى ·· ولكنها لم تكد تصعد الى ظهر الارض ·· فتسرى فى رئتيها نسمات الحياة ·· حتى بعثت من جديد ·· واستيقظ قلبهـا وتفتح للحب ثانية ·

وتناسب كل الانباء التى سرت الى مدينة الموتى عن فظائع

نيرون وجرائمه ·· فلم تعـــــد تذكر سوى انه اليوم بلا حليلة وخليلة ·· وداخلها قبس من الامل في أن يكون محتفظا في ركن قصي من قبله بشيء من حبه لها ·· الحب الذى كانت فيه حياتها وكيانها ! ·

وكانت الساعة الســـابعة صباحا ·· حين نفذت الى المدينة ·· وكان اليوم من أيام السعد والاعياد في روما ·· ولاحظت ان الطرقات تغص بالنـــاس ·· فلم تدر أهي محض مصادفة ·· أم هي بهجة اليوم السعيد ·· أم أن هناك حفلا يترقبونه ·

لم تدر السر ·· ولكنها ابصرتهم يتجهون جميعا صوب (الكابيتول) فحذت حذوهم ·· ومضت في طريقها لاتلوى على شيء ·· لا تكاد تسمع أو ترى ·· واذا اقتربت من ركن القصر البلاتيني ·· رأت تماثيل الآلهة ·· في أبهى زينات العيد ·· ولاح لها الزحام تشتد وطأته كلمـــــا اقتربت من (الكابيتول) ولكنها لم تكن لتحفل بما حولها··كان لوشيس هو كل بغيتها ·· وكان لوشيس يعيش في القصر الذهبي واذن فلتسع الى هذا القصر ·

بيد أنهــا حين أصبحت تحت اسواره انتبهت على أول منظر لما يوشك ان يصدمها من مفاجآت فقد رأت عربة فخمة أمام باب القصر · كسيت بمخمل ارجواني··وطرزت جوانبها بالذهب وسدلت على نوافذها ستائر شرقية · واهتز كيـــان آكتيه ·· وأحست بالعرق البارد يتفصد من جبينهــــــا ·· وغشيت عينيها غشاوة فلقد كانت العربة من عربات الاعراس وكانما شاءت ان تستوثق من خاطر طاف بذهنهـا فاقتربت من أحد العبيد الوقوف تسأله فأجابها بأن قران نيرون كان يعقد في تلك اللحظة في معبد جوبيتر ·

وغشيتها موجة طاغية من الحب الجنوني ، فتناسعت كل شيء ٠٠ تناست مدينة الموتى والمهمة التى غادرتها من أجلها ، والامال التي علقها أهل تلك المدينة الارضيةعليها ٠٠ وامتدت يدها فشددت قبضتها حول الخنجر الـــذى تحمله ، والغيرة الهوجاء تفرى قلبها ، ثم اندفعت لا تلوى على شيء نحـــو (الكابيتول) غير عابئة بنظرات القوم الذين راحت تدفعهم عن طريقها ، وهى تنطلق فى خطى سريعة ، وطيسدة ، حتى بلغت المعبد ٠٠

وعند قدمي المعبود ٠ وبين الشهود العشرة الذين تقتضى مراسيم الزواج حضورهم ، رأت العروسين وقد سدلا نقابين على وجهيهما لا يرفعان الا بعد انتهاء المراسيم ، كمــا كانت التقاليد تقضى وتقدم كبير كهنة الاله يحمل قدحا مليئا بمزيج من اللبن والنبيذ المعسول ، فقال للامبراطور :

يالوشيس دوميتيس كلوديس نيرون ، انني أهبــــك سابينا ، فكن لها زوجا ، وصديقا ، وحاميــا وأبا ٠٠ انني أكل اليك قضاء مصالحها الدنيوية ، واعتمد على صدق نيتك ٠ وعقد راحة العروس براحة عريسها ، ثم رفع نقابها فكشف عن وجهها٠٠وآمنت آكتيه بما لم تشأ أن تصدقه حين سمعت اسم العروس ٠٠ كانت هذه حقا تلك الجارية أخت سبورس ، التي عضتها في حمام القصر يوم وصولها ٠٠ كان الامبراطور يعقد قرانه على جارية ، أمام الله والملأ ! ٠

وتذكرت آكتيه تلك المشاعر الغريبة التي داخلتها عند لقائها الاول بالفتاة ، فتبينت انهــا كانت خليطا من الغيرة والمقت ، بعثتها في نفسها غريزتها الفطرية كامرأة ٠٠ وها قد صدقت غريزتها ٠٠ فتزوج نيرون من الجارية التى أقامها على خدمتها ، ووهبها اياها فى بدء حبهما ٠

وتناوبتها مشاعر متباينة ، متضاربة ٠٠ وراحت تحاول أن تكذب سمعها وبصرها ، وقلبهــا ، فتأبى الحقيقة القاسية الا أن تفرض نفسها عليها فرضا ٠٠ أجل ٠٠ كانت العروس سابينا ، وقد ارتدت ثوب العرس ، وارتبطت بنيرون برباط لن يقدر له أن يحل ، اذا كانت القوانين الوثنيـــة الرومانية تحرم الطلاق ٠

ونهض العروسان ، وسارا الى باب المعبد، حيث كان فى انتظارهما أربعة رجال وأربع سيدات من أعرق وأنبل الاسرات وقد حملوا المشاعل ٠٠ وتقـــدم كبير من حاشية القيصر ، فاسلم نيرون التاج والوشاح اللذين طالما لبستهما الامبراطورات الرومانيات فوضعهما بيديه على رأس سابينا وكتفيها ٠

وهبطا الدرج فى جلال الى محفة مكشوفة لانظار القوم ، فتعالت الهتافات ٠

وتبعت آكتيه الموكب ، ظنا منها أن الامبراطور وعروسه سيتجهن فورا الى القصر الذهبى ، ولكن نيرون كان قد رسم خطته على أن يطوف بالعروس ارجاء روما ، فســـارت آكتيه مهمومة فى أثر الموكب أينما ذهب ، وهى تنصت الى الهتافات والاناشيد والخطب التى كان القوم يتبارون فى أزجائها ، كل كلمة منها تخز فى قلبها ، وتثير آلامها ٠٠

وانتهى الموكب الى القصر الذهبى أخيرا ، فولجت آكتيه مع الجموع التى تدفقت خلال الابواب التى فتحت على مصاريعها احتفالا بهذه المناسبة السعيدة ٠٠ وكانت على دراية بدروبه وردهاته، كما كان لباسها الابيض يخلع عليها مظهر الوصيفات فتسللت الى مخدع العروس ٠٠ واختفت بين الستـائر ٠٠ وجمدت فى مخبئها ٠٠ نهبا لمختلف المشاعر والاحاســيس

الجياشة المتضاربة .. حتى انقضت ساعتان طويلتان .. ثم سمعت ضجة واصواتا ووقع أقدام .. فأدركت ان العروس قادمة .

وأقبلت سابينا أخيرا وفي معيتها أكبر وأعرق وصيفات القيصر .. أغلق الباب خلفهما وراحت الوصيفة تنضو عن العروس ثيابها .. فبقيت فى قميص بسيط جعلها تبدو لعينى آكتيه فى المنظر الذى رأتفيه سبورس ـ للمرة الاولى ـ وهو يغادر السفينة .. في ذيل لوشيس .. على شاطىء كورنثه وساءلت نفسها في عجب .. أحلم ما رأت .. وما لا تزال ترى .. أم حقيقة ؟ . أكان الاخ والاخت شـــخصا واحدا يتقمص أى الشخصيتين تبعا للظروف ! وخيل اليهـا أنهـا تكاد تجن ! .

وما لبثت الوصيفة ان انصرفت .. فما خلت العروس الى نفسها .. حتى تنهدت .. وأطلقت دمعتين كانت تكبحهما طيلة الوقت .. ثم رأت آكتيه فجأة تتحرك بين الستائر .. فقفزت فى ذعر .. وصرخت خائفة .. حتى اذا تبينتهـــا وعرفتها .. داخلها شيء من الطمأنينة وهتفت :

ـ أهذه أنت ياآكتيه ؟ ..

ـ أجل .. أنا بعينى .. ولكن من أنت ؟ .. أسابينا أنت ام سبورس ؟ .. أرجل أنت ام امرأة ؟ .. افصحى !.

فصاحت متهالكة عند قدمى الفتاة : واحسرتاه ! .. ماأنا بهذا ولابذاك .

وسقط الخنجر من يد آكتيه .. وكانت قد قبضتعليه .. وفى تلك اللحظة .. فتح الباب .. واندفع منه عدد من العبيد اقبلوا مهرعين .. اذ تناهت لأسماعهم صرخة العروس .. فما رأوا آكتيه .. وسـابينا متهالكة عنـد قدميها .. حتى

قبضوا عليها وزجت فى السجن .. فاذا هى تلتقى ببولس وسيلاس .

وهتف بولس اذ رآها : كنت أتوقع مقدمك يا ابنتى ولاريب انك اخفقت فى مسعاك فجئت تفضلين الموت معى ؟

فصاحت فى لوعة : لايا أبتاه ! .. لقد نسيت أمرك .. فلا أرانى جديرة بان تدعونى ابنتك .. اننى حمقاء .. شقية .. متعوسة .. لا أستحق رحمة أو عفوا

ـ أو مازلت تحبينه ؟

ـ بل لم أعد أحبه .. ولكننى كنت مجنونة .. ومالرى فى الارض أو السماء من يستطيع أن ينقذنى من جنونى

ـ تذكرى ماحدث لابن العبد المشوه .. وان الله الذى يبرىء الجسد .. لقمين ان يبرىء العقل .

ـ ولكن ابن العبد كان برىء النفس .. أما أنا .. فلا براءة عندى .. ولا ايمان

ـ لاتقنطى من رحمة الله .. فالندم جزء من التوبة .

وركعت بجواره .. واسندت رأسها الى كتفه .. ومضت تنصت الى الحديث الذى راح يسكبه فى أذنيها فينفذ الى قلبها .. فلا تملك له جوابا سوى البكاء

وما ان بزغ نورالصباح التالى .. حتى كانت أكتيه قد اعتنقت المسيحية .. وأطمأن قلبها الى الايمان .

وكانت العادة فى السجون أن يختار كل يوم عدد من المجرمين المسجونين والمسيحيين المعتقلين ليلقوا الى السباع والنمور غذاء .. ومنهم من كانوا يختارون لمصير أروع وأفظع .. اذ كانوا يساقون الى الساحات العامة لينازلوا الوحوش فى حفلات يقيمها الامبراطور .. ارضاء لغريزته الوحشية ..

وشاءت الصدف ، أن يفتح الحراس باب السجن فى

اللحظة التى كان بولس يعمد فيها آكتيه وقد ركع حولهما أنصار المسيحية يصلون لله شكرا ·· وسأل بولس الحراس عن غرضهم فأجاب رئيسهم : جئنا من أجل هذه الفتاة · فهى ملك للقيصر ···

فصاح : أخطأت ، فليس لكم عليها من سلطان ·· انها ملك الله ! ··

وأغمى على آكتيه ، بينما أشار الرئيس الى أتباعه كى يقبضوا على بولس فيسوقوه الى الامبراطور بدلا من الفتاة ·· وحكم عليه بالصلب ، فاعترض على الحكم طبقا لما يتيحه القانون الرومانى للمتهمين فأبدل الامبراطور الصلب بقطع العنق ··

على أن نيرون لم يكتف بالقضاء على تلميذ المسيح ، بل شاء أن يمضى فى نكايته بالمسيحيين الى أبعد حد ·· وكانت الذكرى المئوية لوفاة يوليوس قيصر جد وشيكة ، فأذاع فى الناس أنه سيقيم حفلا عظيما ، يشهد فيه أهل روما أروع صراع شهده بين آدميين ووحوش ، وأنه سيدفع الى الحلبة فى ذلك اليوم بزمرة من المسيحيين المعتقلين ، وبعدد من الوحوش التى أرسلت اليه من أفريقيا حديثا فلم تفقد بعد حدة غريزتها المفترسة ··

ولم يكن مستغربا من القوم أن يتلقوا النبأ فى تحمس · وأن يترقبوا الموعد فى صبر نافد ، فعلى الرغم من أن حفلات الصراع بين الآدميين والوحوش كانت مألوفة فى عهود الاباطرة السابقين ، الا أنها لم تبلغ فى أى وقت ما بلغته فى عهد نيرون الذى فاق فى تعطشــه لرؤية الدماء المراقة ، كل أسـلافه السـابقين ، والذى افتتن فى تنظيم حفـلات الصراع الآدمى الحيوانى افتتانا جعلها من أبهى حفلات ذاك العهد فى روما ·

واذ حان اليوم تدفق الناس على ساحة الصراع فى سيعول

زاخرة حتى ضاقت بهم الساحة على سعتها .. وجاء الامبراطور بنفسه يشهد المباراة . فاستقبله الناس في عاصفة هوجاء من الحماسة والحفاوة .. ولم يكد يستقر في مقصورته حتى نزل الى الساحة بعض المصارعين المدربين .. وكانوا من العبيد الذين ابتيعوا من سادتهم خصيصا لهذا الغرض على أن يكون جزاء من يفوز منهم على الوحش الذى ينازله فينجو بحياته ، أن ترد اليه حريته . وأن ترفع عنه قيود الاسترقاق ..

وعرض هؤلاء المصارعين بعض الالعاب الطريفة التى زادت من حماسة الحضور ..

على أن الجمهور لم يستطب طويلا هذا اللون .. كانت اللهفة تطغى عليه ، الى رؤية ماهو أروع وأرحب وأقوى على اثارة الغرائز الوحشية في نفوس الناس .. كان تواقا الى رؤية الصراع بين المسيحيين الذين اختيروا من المسجونين وبين الوحوش ..

وقبل أن ينتهى الشوط اقترب انيستس من الامبراطور . فأسلم اليه عددا من الرسائل . عكف نيرون توا على قراءتها في قلق وتلهف .. واربد وجهه واكفهرت ملامحه . واستغرق في التفكير برهة ثم هب فجأة فاندفع خارج الساحة . مشيرا الى المسئولين كى يشرفوا على مواصلة الحفلة في غيابه ..

وانتهى الشوط فازداد تحمس الجمهور اذ آن دون الصراع بين الآدميين والوحوش ..

واتجهت الابصار صوب الباب الذى يساق منه المسجونون .. وكانت الاولى امرأة ائتزرت من قمة رأسها الى أخمص قدميها بمئزر أبيض فاقتيدت الى شجرة ربطت اليها .. ورفع أحد العبيد النقاب عن وجهها فبدا جميلا رغم شحوبه المفرطة وأثار منظرها تمتمة بين الجموع . فعلى الرغم من أنها

كانت مسيحية ٠ الا أن رؤيتها هفت بعواطفهم وحركت قلوبهم الجامدة ٠٠

وبينما كانوا يرمقونها ٠ أقبل شاب من المسجونين من باب آخر ٠ اذ كانت العادة تقتضي تعريض رجـــل وامرأة للوحش المفترس ٠ حتى يجد الرجل نفسه مضطرا لا الى انقاذ حياته فحسب بل وحياة المرأة أيضا ٠٠

وكانت المرأة تختار ـ لذلك ـ بحيث تكون أما أو أختا أو عشيقة له ـ اذ أمكن ذلك وتيسر ـ فيطيل وجودها من دورة الصراع ٠ ويذكي احتدامها ٠٠

وتقدم الشاب الى الساحة فى خطى بطيئة يتبعه عبدان يحمل أحدهما سيفا وعددا من الخناجر ويقود الآخر فرســـا ليزوداه به عند بدء الصراع ٠٠ وتلفت حوله هادئا رزينا ٠ ثم أشـــار الى العبدين يصرفهما اذ لاحاجة به الى الاسلحة أو الفرس ٠٠ وتبدى الاستياء على الجماهير أذ كانوا يرتقبـون صراعا حاميا ٠ فابصروا بالمسيحى يتأهب للاستشهاد ٠ وهو فخر كان يسعى اليه آنذاك كل مؤمن مضطهد ٠٠ وبينمـا ركع يصلى راحوا يصيحون مطالبين بصلبه نكاية فيه فابدى الرجل غبطته بدلا من أن يتردد ويخاف ٠٠

ولكنه سمع فى تلك اللحظة زفرة تند عن المرأة المربوطة الى الشجرة وسمعها تنادى باسمه فى صوت واهن فالتفت وما أن رآها حتى نهض واندفع نحوها صائحا :

ـ آكتيه ! ٠٠

فهتفت به : ارحمنى ياسيلاس ! ٠٠ لقد داخلنى الامل حين رأيتك اذ عرفت فيك سيلاس الجرىء الذى أعتاد أن ينازل الوحوش فى الغابات والصحراء فلم لاتناضل عسى أن تنقذ حياتينا معا ٠٠ وتجنبنا ميتة شنيعة ٠٠ اننى حديثة عهـد

باعتناق الدين فلست أدرى عن الاستشــهاد شيئا ‥ ولو أنهم قتلونى لما تألمت ولكن ‥ تصور حالى اذ أراك تموت تلك الميتة القاسية البطيئة ، بين براثن الوحش ‥ كيف احتمل المنظر !؟ ‥

ــ سأقاتل اذن ، فلاتحزنى وانى لذائق فيما بعد لذة الاستشهاد التى تحرميننى اليوم مــــذاقها ‥ الى بالفرس والسيف والخناجر ‥

وصـــــاح الناس مغتبطين وراحوا يصفقون ‥ كانوا عطشى الى الدماء ‥ كانت غرائزهم الحيوانية بحاجة الى غذاء تستخلصه من الوحشية التى تبدو فى الصراع بين أخ لهم ووحش كاسر مفترس ‥

وكان الجواد عربيا أصيلا ، كما كان شـــأن سيلاس ، فسرعان ما ائتلف الاثنان ‥

وفيما كان سيلاس يتأهب ، فتح باب فى أحد الجوانب على مصراعيه ، ونفذ منه ثور قرطبى أهاجه العبيد واستفزوه، فما أن رأى الحشد وسمع الضجيج ، حتى ثبت أقدامه فى أرض الساحة وخفض رأسه فى تحـــد وراح يرمق سيلاس بعينين يتطاير الشرر منهما . بينما انبعث من أنفه الدخان ‥ والقى العبيد الى الســـاحة بدمية ليزيدوا من استثارته فاندفع اليها وطواها تحت حوافره . وبلغ به الهياج أقصى مبلغ ‥ واذذاك رشقه سيلاس بخنجر استقر فى احـــدى كتفيه ، فارسل خوارا رهيبا . وسار الى السورى ودماؤه تصبغ الرمال ‥ ولم يتحرك سيلاس من موقفه حتى اذا صار الثور على خطوات منه رشقه بخنجر آخر غاص بين كتفيه ، فوقف وترنح كانه يوشـــك أن يقع . ثم استدار فجأة . واندفع نحو الفرس ‥ وجرى الفرس والآخر يطارده فى

ارجاء الساحة ..

على أن الخور مالبث أن تولى الثور ، فهوى على ركبتيه الاماميتين ، ولكنه سرعان مانهض فاندفع نحو سيلاس فى هجوم يائس مستميت ، واذ ذاك لمح آكتيه للمرة الاولى ، فتردد لحظة . ورفع منخاريه يشتمها ليتأكد من أنها كائن حى ثم استجمع قواه ، وهجم عليها ، فأطلقت المسكينة صرخة ذعر مدوية ، ولكن سيلاس كان أسرع منه فقفز على ظهر الجواد ووكزه حتى حمله بين الثور وآكتيه ، ثم قفز عن الجواد فصار فوق عنق الثور ، وأمسك باحدى يديه قرنه فاستعان به كى يلوى رأسه ، بينما أغمدت يده الاخرى السيف فى عنقه ، فغاص حتى مقبضه

وقضى على الثور .. وأقبل العبيد يحملون جثته .. بينما قدم غيرهم يحملون قوسا وعددا من النشاب وحربة .. يستعين بها سيلاس على غريمه الثانى .. الذى لم يكن غير أسد افريقى مهيب .. أقبل ـ حين أطلق ـ فى الجلال اللائق بملك الوحوش .. فما أن ولج الساحة حتى زأر زأرة اقشعرت لها أبدان الحضور .. اللهم الا سيلاس الذى كان قد ألف الزئير منذ حداثته فى الصحراء

وسار الاسد فى تؤدة واعتداد .. يضرب الرمل ـ الذى نثر على الارض ـ بذيله غير عابىء بالمحاولات التى بذلت لاستثارته .. وفجأة مرق فى الجو سهم أطلقه سيلاس .. فاستقر فى احدى كتفيه .. فوقف لتوه .. وكأنه دهش لان فى الكون مخلوقا جرؤ على الاعتداء عليه . واحمرت عيناه .. وتحرك فكاه الضخمان .. ثم ند عنه زئير كقصف الرعد وانتزع بمخالبه السهم من كتفه .. فحطمه .. وجال بعينيه فى الحضور . فبعث الذعر والهلع فى قلوبهم ثم قفز فجأة

وانطلق يطارد الحصان ·· فأجفل هذا وراح يدور حول الحلبة في سرعة زادها الخوف أضعافا

بيد أن الاسد كان حريصا على أن يضيق الخناق على الجواد المسكين ·· الذى مالبث أن هوى عند السياج الحديدى المحيط بالساحة ·· وتقدم الاسـد من ضحيته فى عظمة المظفر الغالب ·· ولكن سهما مرق فى الجو فنفذ بين ضلوعه ·· فاستثار غضبه ·· واذكى سخطه فتحول نحو سيلاس الذى كان قد سدد سهما ثالثا أرسله فمزق وجه الاسد · وغاص فى عنقه

وفى عجلة خاطفة ، وعلى غير توقع من أحـد · قفز الاسد على سيلاس · فتلقاه هذا بسن حربته ·· وسالت الدماء ·· ودار الصراع رهيبا عنيفا بين الغريمين ·· وصرخت آكتيه فى فزع ولوعة ·· ولكن سيلاس كان قد اقتص لنفسه ·· فلم يمت الا وقد قتل غريمه ! ··

واتجهت الانظار نحو آكتيه · التى فارقها آخر أمل مع آخر نفس لفظه سيلاس ·· ووجدت نفسها بلا حام أو نصير · فاستبد بها اليأس وحاولت أن تصلى فماتت الكلمات عند شفتيها ··

وعلى غير المعتاد · بل وعلى غير توقع · استدر ضعفها وذلتها اشفاق الجمهور فقام بعض افراده يطالبون بالعفو عنها ·· ولكنهم اضطروا الى السكوت اذ اطلقت فى الساحة نمرة سارت متحفزة وقد فغرت فاها · فتبدت أنيابها الرهيبة ··

واقتربت النمرة من الشجرة التى ربطت اليها آكتيه فراحت تطوف حولها · وتتشمم الجو المحيط بها ·· وأمسك الحضور انفاسهم اذ رأوا النمرة منبطحة على بطنها متحفزة ·· وأغمضت آكتيه عينيها عن المصير الفظيع ···

وقفزت النمرة مستوية على قدميها · فتوقع الجميع ان اللحظة قد حانت · فتعالت صرخات الجزع من المشفقين ·· ولكن النمرة استلقت عند قدمي آكتيه وراحت تلعق بشرتها ·· وفتحت الفتاة عينيها في دهشة · فاذا هي تتعرف في النمرة على « فوبيه » الاليفة التي استأنسها نيرون وروضها ··

وانطلقت صيحات الجمهور مدوية كالرعد تطالب بالعفو

وأفرج عن آكتيه · وأقبل الناس يهيلون عليها آيات العطف · ولكنها تحاشتهم وتسللت الى ركن من معبد ديانا· خلت فيه الى نفسها · فاطلقت لدموعها العنان · في حسرة ولوعة وأسى ··· كانت وحيدة في الحياة لا أب · ولا خليل ولا ناصح · ولا نصير ·· بل ولا مأوى ! ···

وعند ما ارخى الليل سدوله ، سارت وحيدة · صامتة الى مدينة الموتى ··

وكشف الصباح التالى عن أمر الرسائل التى تلقاها نيرون ، فاكتأب وغادر ساحة الصراع فجأة ·· فقد حملت الرسائل انباء ثورة الفرق التى أوفدها الامبراطور الى اسبانيا وبلاد الغال ، تحت قيادة جالبا وفيندكس

الفصل العاشر

بعد ثلاثة أشهر من الوقائع السابقة ، وعندما كان النهار يتهالك متعبا ـ بعد أن انهكه تساقط المطر منهمرا كالغيث ليفسح الطريق لليل عاصف ثائر الرياح والزوابع ، خرج خمسة رجال من مدينة روما على صهوات الجياد · متبعين طريق « نومينتانا » وقد تدثروا وتزملوا حتى لم تكد وجوههم تبين ··

وما كان هياج أهل روما فى ذلك اليوم بأقل حدة من هياج الطبيعة وغضبهاوكأنما كانهذا السخطالمزدوج منصبا على رأس الشخص الذى بدا أنه الرئيس بين هؤلاء الخمسة الضاربين فى الظلام ، السارين فى جنح الليل • رغم العواصف والامطار •• فقد كان متلهفا خائفا يستحث جواده من آن لآخر ، ويجفل لسماع أية حركة مفاجئة ؛ ويرسل أنات آسية وزفرات ملتاعة • كلما ازدادت ثورة الطبيعة عنفا •••

واذا ابتعدوا ميلا عن روما ، صادفهم فلاح يقبل على المدينة رغم الطقس الممطر العاصف ، فحاول قائد الجماعة ان يتحاشاه ، ولكنه استوقفه وسأله :

ـ أيها القادمون من روما ، ماذا يقول الناس عن نيرون ذى اللحية الحمراء ؟

فأجفل الرجل ، ولكن أحد رفاقه أجاب عنه :

ـ يقولون انه هرب •

ـ والى أين قصد ؟

ـ سار نحو نابولى ، مجتازا طريق آبيا •

فشكرهم الرجل وانطلق نحو المدينة هاتفا : ليحى جالبا ، وليمت نيرون ! •

واذا قطعوا ميلا آخر ، اعترض سبيلهم أحد الجنود فسألهم عن أمرهم •

وأجابه واحد منهم :

ـ نحن من أنصار جالبا ، نبحث عن نيرون •

فصاح : أرجو ان تكونوا أحسن منى حظا •• وليحمكم جوبيتر ! •

وهم رئيس الجماعة أن يطيع خوفه ، فيلكز جواده

يستحثه ، لولا أن جذب أحد رفاقه العنان فساروا فى خطواتهم السابقة ، يمرون بين الفينة والفينة بمن يسألهم عن نيرون الذى هوى من شاهق مجده ، فتكاثر القوم يريد كل ان يكون صاحب الطعنة الاولى فى هيكل عزته .

والتقوا مرة بجندى استوقفهم .. وبينما كان يتحدث اليهم ، تعثر جواد رئيسهم ، فكاد يفقد توازنه .. وفيما هو يعتدل ؛ سقط القنـــاع عن وجهه وابرقت السماء فى تلك اللحظة ، فما رأى الجندى على ضوئه وجه الرجل حتى هتف (يحيا القيصر !) وانطلق !

فما كان رئيس الجماعة سوى .. نيرون بذاته .. وقد فر من روما وهجر موطن لهوه وبذخه لينجـــو بحياته من الشعب الذى ثار عليه .

ولكن لنلق نظرة على الحوادث التى هبطت بالامبراطور من ذروة مجده .. الى الرغام ..

فى تاريخ العالم فترات يرى فيها الناس أمبراطوريات تستسلم للنعاس .. وتستكين الى الخمول والاستخذاء ..

وفجأة تدب فيها الحياة من جديد .. وكأنما هبط ملاك الحرية من السماء على حين غرة .. ليبعث قبســا من الضوء خلال الظلام الذى تعيش فيه .. واذ ذاك .. ومهما بلغت تلك الامبراطوريات من الاتساع تنتشر النار فى ارجائها بسرعة موقظة الشعوب خالقة بين بعضها وبعض رابطة واحدة .. رابطة الثورة فى سبيل الحرية .. فلا يلبث النداء ان يتردد من كل الجهات ومن جميع النواحى وعلى مختلف الالسنة وفى متباين اللغات .

وهذا عين ما حدث .. فما ان قام جالبــا فى اسبانيا وفيندكس فى بلاد الغال يعلنان الثورة على نيرون حتى سرت

الروح فى كل جسد الامبراطورية الرومانية ٠٠وكان فيندكس جريئا ٠ ولكن جالبـــــا كان مترددا تردد الحريص المتزن الرزين ٠٠ ومن ثم سرعان ما جمع فيندكس أبناء الغال حوله ثم راح يكاتب جالبا الذى كان يعمل مذ هبط اسبانيا على توطيد مركزه ، وعلى التقرب الى القوم ، فجمع خيرة الرجال والانصار ، وعرض عليهـــم الامر ، فتلقوا ما عرضه عليهم فى حيرة وتردد وارتبـاك ، الى أن هب من بينهم جرىء مقدام يدعى تيتس فينوس ، فصاح :

ـ اذا شئت ياجالبـا أن تتآمر لترى مدى ولائنــــا لنيرون ، ففي تآمرك واجتماعنا بك خير تأكيد لعدم الولاء ٠٠ فاما أن نقبل صداقة فيندكس ، وكأننا ارتضـــينا أن يكون نيرون عدونا ، واما أن تناصبه هو الآخر العـــداء ٠ فنعلن الحرب عليه ، ونذيع على الناس أننـا اخترناك امبراطورا ، لتحل محل نيرون الطاغية ٠

وأعقب الاجتماع الخاص المتكتم ، اجتماع عام سافر شامل ، أعلن فيه تنصيب جالبـــــا امبراطورا وبينما كان فيندكس يتهيأ لمحاربة روما ، وجد نفســـه فى بادىء الامر مضطرا الى محاربة جالبا أولا٠٠اذ سير هذا الفرق الرومانية التى كانت فى اسبانيا الى بلاد الغال ٠

وفرح نيرون اذ ظن أن هذا الخلاف مخلصة من النتائج الوخيمة التى كانت متوقعة من وراء الثورة ٠٠ وبدلا من أن يستعد ويتأهب ٠٠ عاد يغرق نفسه وبلاطه فى ملاذه وبذخه ومباذله ٠

وانتصر جالبا على فيندكس الذى وجد قتيلا فى خيمته بعد المعركة ٠٠ ولم يبق أمامه ســـوى غريم واحد ٠٠ هو نيرون ٠٠ ولكن نيرون كان فرحا مثله ٠٠ اذ رأى نفسه فى

نفس موقفه وقد غدا أمامه غريم واحد •• بدلا من اثنين •
غير أن شرارة الثورة كانت قد سرت الى روما نفسها فلسعتها وأيقظتها من سباتها •• وراح أعوان جالبا يعملون متخفين ، يثيرون الرأى العام••ويكشفون عن فضائح القيصر وعن مباذله وتهتكه •• وبدأ نيرون يرى القوم يتهكمون به سافرين للمرة الاولى •• وبدأ يرى تماثيله فى الميادين موضع عبث الساخرين •

وتمت اليقظة أخيرا •• وتعالت الصيحات فى جنبات روما •• فاستشاط •• وأعماه الغضب • فراح يضع مختلف الخطط للانتقام من المدينة التى جرؤ أهلهـا على السخرية منه •• وكانت خططا جنونية •• بعضها يرمى الى السماح لاعدائه بالفتك بجيوشه •• عملا بالمثـل السائر (على وعلى أعدائى) وبعضها يقتضى دعوة أعضاء مجلس الامة والشيوخ الى وليمة يدس لهم فيها السم فى الدسم •• على أن أفظعها وأكثرها جنونا •• كانت خطة أوحى له فيهـا شيطانه •• ليضرم النار فى روما مرة أخرى••ويطلق وحوشه المفترسة فى الوقت عينه •• فتفتك بالقوم • وبوسيلة خفية تسربت الالواح التى سجل عليها هذه الخطط الى أيدى أعوان جالبا •• فرأوا أن الساعة قد حانت ووقفوا فى ميـادين روما يدعون الناس للثورة •• ويطلعونهم على ما أعد الامبراطور المتهوس للانتقام منهم •• وتصادف أن كانت السفن التى تحمل مؤونة روما من القمح المصدر من الاسكندرية قد تأخرت •• وراح القوم يعانون أزمة قاسية •• لا يجد معظمهم خلالها الخبز •
وتعاونت كل العوامل •• فهبت العاصفة •• وانفجر الحقد الكامن فى الصدور • واجتاحت روما ثورة عنيفة •
ووجد نيرون نفسه وحيدا وقد انفض من حوله أنصاره

وزملاؤه فى اللهو والعبث .. وراح الشعب يطالب برأسه .. لم يبق حوله غير سبورس ، وايبافروديتس ، وخادمين من عتقائه .

وذهب الموقف بعقله ، واستبد به حب الحياة ، فكاد يجن .. لولا أن عرض عليه ايبافروديتس أن يؤويه فى ضيعة له على مبعدة من روما .. ريثما تهدأ الثورة .. ويستعيد سلطانه على جيوشه .. فيسيرها على العصاة .

وهكذا .. خرج فى تلك الليلة العاصفة .. يسعى الى ضيعة ايبافروديتس يحوطه الاربعة الذين بقوا حوله .. بينما كان الجميع يبحثون عنه .. ليقدموا رأسه للشعب الثائر الهائج .

واستطاعوا أن يصلوا الى الضيعة فى سلام .. وفى حجرة حقيرة كان يسكنها العبد القائم على حراستها . جلس الامبراطور على فراش خشن رث . وهو يرتجف خوفا وهلعا . وقد أعماه حب الحياة عن كل شيء .. ولكنه ما كاد يستقر .. حتى لحقته رسالة .. تعلن اليه أن مجلس الامة قد اجتمع ونادى به عدوا للامبراطورية .. وأطلق فى أثره الرجال للقصاص .

وفكر فى الفرار حين أزجى اليه سبورس النبأ على انفراد .. فهتف العبد :

ـ الفرار ؟! .. وانى لك هذه النعمة ؟ لقد سدت عليك الطرق والمنافذ فلا مخرج لك من هذه الحجرة .

ولم يصدقه نيرون بادىء الامر .. ولكنه لم يلبث أن تبين أنه لم يكذبه القول .. فصاح يسأله عمن دبر ذلك .. فأجابه فى برود :

ـ أنا والتابعان .

ـ ولماذا فعلتم ذلك ؟

فأجابه في لهجة تفيض بالحقد : لتموت حيث أنت ! ٠

وصاح نيرون مخبولا وهو يتخبط : أموت ! لماذا يسعى كل فرد الى موتى ؟ لماذا ينبذنى كل فرد ويتخلى عنى ؟

ـ حقا كل فرد ينشد موتك٠ولكن هناك من لم يتخل عنك ٠ فها أنذا قد جئت لاموت معك ٠

فتمتم نيرون وهو يتهـــالك حزينا : آه ! ما زال في الدنيا وفاء !

ولكن العبد أجابه في فتور : تخطىء اذا ظننت هذا وفاء ٠٠ انما هو انتقام !

فبهت نيرون وصاح : انتقام ؟ وبمـــاذا أسأت إليك يا سبورس ؟ ٠

ـ أو حقا لا تدرى ؟ أو لست أنت الذى جعلني عبدا حرم من كل ما يبعث الامل فى نفوس الرجال ؟ لقد أغدقت على ألوان المسرات ٠٠ كما يعرض اللحم والشراب على الجائع المكتوف اليدين المكمم الفم ٠٠ البستني الحرير والمخمل ٠٠ وأجبرتنى على أن أبتسم كما يبتسم السعداء ٠ بينما كنت أعيش على هامش الحياة كشبح حائل ٠٠ لو أنك قضيت على كما قضيت على بريتانيكس واجريبينا وغيرهما لأرحتنى ٠٠، ولكنك رحت تعاملنى ، لا كما لو كنت رجلا ٠٠ لاولا كما لو كنت امرأة ٠٠ وانما كما لو كنت العوبة تتصرف بها كمـــا تشاء ٠ اذقتنى الهوان فى قالب الايثار ٠٠ وأسقيتنى الذل فى كأس العز وأريتنى الشجون فى أثواب المسرات ٠٠ كنت لا أملك من نفسي شيئا ٠٠ كنت عبدا لك ٠٠ كنت كلبا ٠٠ بل حشرة طفيلية ٠٠

وصمت سبورس برهة ٠٠ ثم اســـتطرد فى كراهية

طاغية ومع ذلك فقد كان فى وسع ذاك العبد .. الكلب .. الحشرة الطفيلية كان فى وسعى أن أفكر فى الانتقام فأسلمت الالواح التى ضمنتها خططك ضد روما وأهلها لعمال جالبا . وسرقت السم الذى كنت أعددته لتتخلص من حياتك فى لحظة سقوطك حتى لاتجنب نفسك مشهد ذلك .. وعملت على أن أسلمك لاعدائك حيا كى يمثلوا بك أبشع تمثيل .

فصاح نيرون وهو ينتضى خنجرا من بين طيات ثيابه : خسئت . فقد بقى لى هذا يخلصنى من العار ..

– واين لك الشجاعة التى تمكنك من استعماله ؟ .

وقرب نيرون الخنجر من صدره حتى مس ذبابه بشرته وقال : بل سترى كيف أجرؤ . ولكن ، لقد عشت فى العار وسأموت مضرجا به ! كم ستخسر الدنيا فى شخصى موسيقيا موهوبا . ومغنيا مطربا ! ..

وأمسك اذ سمع وقع حوافر جياد مقبلة فهتف سبورس : هاهم الجنود قد جاءوا لإعتقال عدو الوطن ..

واندفع ايبافروديتس يعلن نفس النبأ فصرخ نيرون فى جزع ودفع الخنجر الى قلبه فهرع سبورس وايبافروديتس ينشدان النجاة قبل مقدم الجنود ..

وأفاق نيرون الى نفسه فانتزع الخنجر من صدره وقد عاوده حب الحياة ..

وحاول أن ينهض من كبوته فعجز .. تدفق الدم من صدره غزيرا . فحاول أن يسد الجرح بقبضته ثم تلفت حوله . فلما رأى نفسه وحيدا تهالك على الارض يئن – ودفع الباب فى تلك اللحظة بعنف ونفذ منه جندى . فما أن رأى الامبراطور ملقى على الارض مضرجا بالدماء حتى هرع نحوه وحاول أن يسد بوشاحه الجرح ليبقى عليه حيا ريثما

يسلمه الى نواب الامة فيفوز بالمكافأة التى وضعت لمن يأتى به حيا ..

ولكن نيرون دفعه عنه وقال مؤنبا : أهذه يمين الولاء التى أقسمتها لى ؟ ..

ولفظ آخر أنفاسه مع آخر كلماته .

وأقبل فى تلك اللحظة زميلان للجندي ولكن الصيد كان قد أفلت من أيديهم الى الابد فأسرعوا الى روما يعلنون النبأ .

وبقيت الجثة فى مكانها طيلة النهار فلما أقبل الليل أقبلت معه آكتيه فتسللت الى الحجرة شاحبة الوجه فراحت تغسل الجثة ثم نقلتها فى عربة صحبتها فى مجيئها بعد أن حصلت على اذن ممن أنابه جالبا عنه فى السيطرة على أزمة الامور فى روما ريثما يصل ..

وفى جنازة بسيطة هادئة شيعت آكتيه فى اليوم التالى جثمان الرجل الذى أحبته والامبراطور الذى أبغضته فدفنته فى القبر الذى كان قد شيده لنفسه فى مقبرة أجداده ثم ركعت بجواره جامدة كالتمثال تستعرض ماضيها وذكريات حبها العجيب ..

وعندما أقبل المساء هبطت التل وسارت فى خطى هادئة واجمة وكأنها شبح خرج من المقبرة ، فيممت شطر المدينة التى عاشت فيها حقبة من الزمن تحت أرض روما شطر مدينة الموتى !! ..

كانت هى المأوى الوحيد ، الذى تستطيع أن تجد فى أحضانه مقاما لها ريثما يواتيها الاجل ! ..

تمت

قام بالمراجعة احمد يسرى القرنى

هيئة قناة السويس

مشروع ناصر

لقد بدأ العالم خلال سنة ١٩٦٠ يجنى ثمار الجهو
ما فتئت الهيئة تبذلها فى سبيل تحسين المرفق منذ
سنوات مضت ، فقد أعلن بمناسبة زيارة الرئيس جمال
الناصر لبور سعيد ، يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠ ، أن مرا
التحسين التى تم تنفيذها منذ التأميم ، أعدت القناة لاستا
سفن يزيد غاطسها على ٣٥ قدما ، وأن الزيادة سترتفع تدر
حتى يبلغ ٣٧ قدما فى نهاية شهر ابريل ١٩٦١ ..

ولكى يستطيع القارىء أن يكون فكرة عن الفائدة
ستعود على التجارة العالمية نتيجة لزيادة الغاطس الى ٣٧
نضرب لذلك مثلا بناقلة بترول تغوص بمقدار بوصة و
كلما اضافت لشحنتها ١٥٠ طنا ... تلك الناقلة ستتمكن
أن تضيف الى شحنتها ٣٦٠٠ طن من البترول فى كل رحلة
رحلاتها ..

هذه صورة من لغة الارقام تصور لنا مدى الخدمة ا
تقدمها هيئة قناة السويس الى الاقتصاد العالمى ..



٩٣

أفضل ما كتب عن الثورة الفرنسية

بقلم الكاتب الفرنسى الكبير فيكتور هيجو





الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد – روض الفرج
تليفون ٤٠٥٨٨ – ٤٠٨١٤ – ٤٠٧٥٣ – ٤١٠١٢

العـــدد ١٩٣
الثمن